3 me Année, No. 128.

Lundi-16-12-1935

الرسالة

مجلة أسبوعية للآداب والعلوم والفنون

ARRISSALAH

Revue Hebdomadaire Littéraire Scientifique et Artistique

صاحب المجلة ومديرها
ورئيس تحريرها المسئول
احمد حسن الزيات

الادارة
بشارع البدولى رقم ٣٢
عابدين — القاهرة
تليفون رقم ٤٢٣٩٠

بدل الاشتراك عن سنة

مـ	
٦٠	فى مصر والسودان
٨٠	فى الأقطار العربية
١٠٠	فى سائر الممالك الأخرى
١٢٠	فى العراق بالبريد السريع
١	ثمن العدد الواحد

الأعلانات يتفق عليها مع الادارة

العـــدد ١٢٨ « القاهرة فى يوم الاثنين ٢٠ رمضان سنة ١٣٥٤ — ١٦ ديسمبر سنة ١٩٣٥ » السنة الثالثة

فهرس العـــــدد

صفحة

٢٠٠١ ١٧ رمضان ... ... : أحمد حسن الزيات ... ...
٢٠٠٣ المجنون ... ... : الأستاذ مصطفى صادق الرافعى
٢٠٠٧ مشروع اليابان فى الاستيلاء على الصين : باحث دبلوماسى كبير ... ...
٢٠١٠ المرأة كما يراها شوبنهور : الأستاذ زكى نجيب محمود
٢٠١٣ قصة المكروب ... : الدكتور أحمد زكى ... ...
٢٠١٦ فى طريق المدنة ... ... : الأستاذ على الطنطاوى
٢٠١٨ نظرية النسبية الخصوصية : الدكتور اسماعيل أحمد أدهم
٢٠٢١ مارك توين ... ...
٢٠٢٥ إلى الأستاذ أحمد أمين : الأستاذ السيد محمد صادق الصدر
٢٠٢٧ وا أماه (قصيدة) : الحاج محمد الهراوى ... ...
٢٠٢٧ ليلة حوراء » : الأستاذ عبد الرحمن شكرى
٢٠٢٨ الحياة » : الأستاذ فخرى أبو السعود ...
٢٠٢٨ فراق » : الأستاذ رفيق فاخورى ...
٢٠٢٩ حروب طروادة (قصة) : الأستاذ دريني خشبة ... ...
٢٠٣٣ المقابلة فى الرواية العربية : م . ع . ع ... ...
٢٠٣٣ التاريخ والسينما ... ...
٢٠٣٤ مصادرة مؤلف ألمانى . العبد المثرى لصويل بتلر ...
٢٠٣٤ نادى الجامعيين . الفرقة القومية المصرية ... ...
٢٠٣٥ الجام الأعلام / الفروق اللغوية / معجم الشعراء / المؤتلف والمختلف (كتب) : الأستاذ محمد سعيد العريان
٢٠٣٨ تاريخ الاسلام السياسى (نقد) : « مؤرخ » ... ...

بين الأمس واليوم

١٧ رمضان

يوم الاتحاد والجهاد والنصر

كان الاسلام المهاجر من مكة الجاهلية لا يزال خافض الجناح فى يثرب ؛ وكان السابقون الأولون من المهاجرين والأنصار لا يزالون تحت البلاء : يمتحن الله صبرهم بالألم ، ويختبر إيمانهم بالفتنة ، ليمحص الذين يجتبيهم لنشر الدعوة ، و يعلم الذين يصطفيهم لجهاد الرسالة ؛ فالقرشيون يؤلبون عليهم القبائل ، واليهود ينصبون لهم الحبائل ، والمنافقون يدسون لهم الغدر فى الملق . فلما أذن الله لدينه أن يعود ولمجده أن يسود ولنوره أن يتم ، أرسل جنوده الثلثمائة إلى وادى بدر ، يتعاقبون على سبعين نضواً من أباعر المدينة ، ويستعينون بصبر المجاهد على القلة ، وبعزة المؤمن على الذلة ، وبعفة الزاهد على الفاقة ؛ ويسيرون فى استغراق الصوفى المدلّه إلى ما وعدهم الله من إحدى الطائفتين : العِير أو النفير ، وإحدى الحُسْنَيَيْن : النصر أو الشهادة ؛ ولكن العير الذى يفهق بالثراء الضخم نجا به أبو سفيان على الساحل ، فلم يبق إلا مكة الغاضبة لثروتها وسطوتها ودينها قد نزلت بالعُدْوة

القصوى من الوادى مع أبي جهل ! تسعمائة وخمسون من فلذات كبدها أرسلتهم فى الخيل والحديد يجيشون على محمد بالغل ، ويفورون على صحبه بالحفيظة ، ويرون الاسلام فى هذا العدد القليل والمظهر الهزيل قد أمكنهم من نفسه ، ودلهم على مصرعه

***

التقى الجمعان فى صبيحة اليوم السابع عشر من شهر رمضان ، وكان المسلمون على فقرهم وضرهم ثلث المشركين ، وكان المشركون على كثرتهم وعُدّتهم صفوة قريش ، فموقف الاسلام من الشرك كان يومئذ موقف محنة . كان بين العُدْوتين فى بدر مفرق الطرق ، فإما أن يقود محمد زمام البشرية فى سبيل الله فتنجو ، وإما أن يردها أبو جهل إلى مجاهل التيه والضلال فتهلك . وقفت مدنية الإنسان بأديانها وعلومها وراء محمد على القليب ، ووقفت همجية الحيوان بأصنامها وأوهامها وراء أبي جهل على الكثيب ! فكان طريق وعقبة ، ونور وظلمة ، وإله وشيطان ! فاما أن يتمزق تراث الانسانية على هذا الصخر ، ويتبدد نور الله فى هذا القفر ؛ وإما أن تتم المعجزة فتفيض الحياة على الناس من هذه البئر ، ويتصل الماضى بالمستقبل من هذه الطريق ، ويبدأ التاريخ عهده الجديد بهذه الموقعة !

« اللهم هذه قريش قد أتت بخيلائها تحاول أن تكذب رسولك ! اللهم فنصرك الذى وعدتنى ! اللهم إن تهلك هذه العصابة فلن تُعبَدَ فى الأرض ! » ذلك كان دعاء الرسول أمام العريش ووجهه إلى القبلة ، ويداه إلى السماء ، ورداؤه من التدعول فى الله يسقط عن منكبيه فيرده الصّدّيق ويقول : بعض هذا يا نبى الله فان ربك منجز وعده ! وماهى إلا خفقة من خفقات الوحى حتى نزل الوعد بالنصر ، وجاءت البشرى بالجنة ، فغاب المسلمون فى إشراق عجيب من الايمان ، لا يرسم فى أخيلتهم إلا الحُور ، ولا يصور فى عيونهم إلا الملائكة ؛ وقذف الله فى قلوب المشركين الرعب فانهار السد الغليظ أمام النبع النابض من صخور بدر ، وانجاب القتَم الكثف عن النور الوامض من ربوع يثرب ، وانكشفت المعجزة الالهية عن انتصار ثلثمائة على قرابة ألف ! !

موقعة بدر الكبرى لا تذكر بخطتها وعدتها ونفقتها وعديدها فى تاريخ الحرب ، فلعلها فى كل ذلك لا تزيد على معركة بين حيين فى مدينة ؛ إنما تذكر بنتائجها وآثارها فى تاريخ السلم ، لأنها كانت حكماً قاطعاً من أحكام القدر غيّر مجرى التاريخ ، وعدّل وجهة الدنيا ، ومكّن للعرب فى دورهم أن يُبلغوا رسالة الله ، ويؤدوا أمانة الحضارة ، ويصلوا ما انقطع من سلسلة العلم

لم يكن النصر فيها ثمرة من ثمار السلاح والكثرة ، ولكنه كان ثمرة من ثمار الايمان والصدق ؛ والايمان الصادق قوة من الله فيها الملائكة والروح ، وفيها الأمل والمثل ، وفيها الحب والايثار ، فلا تبالى العدد ولا ترهب السلاح ولا تعرف الخطر !

بهذا الايمان الصادق خلق الله من الضعف قوة فى بدر والقادسية واليرموك ؛ وبهذا الايمان الصادق جعل الله من البادية الجدبية والعروبة الشتيتة عمرانا طبق الأرض بالخير ، وملكا نظم الدنيا بالعدل ، ودينا ألف القلوب بالرحمة

***

بهذا الشعور القدسى الذى يحس وينهض ويقود ، وبهذا اليقين النفسى الذى يجاهد وينتصر ويسود ، وقف الشباب المصرى الباسل من دخلاء الجيش ، موقف البدريين من كفار قريش ، يشقون بهتافهم أذن الأصم ، ويقرعون باحتجاجهم ضمير المصرّ ، ويجدعون بثباتهم أنف المستكبر ! لا ينكلون أمام الرصاص ، ولا يرهبون وحشة السجن ، ولا يجزعون عند الفاجعة . وعاطفة الوطنية كعقيدة الدين : فناء فى الغيرية ، واندماج فى الجمعية ، وتوجيه الأمل الطموح الى المقصد الأعلى ؛ وأجمل ما فى وطنية الشباب المصرى اليوم ، هو أجمل ما كان فى عقيدة الشباب العربى أمس : اتحاد قائم على الألفة ، وتضامن مبنى على الوحدة ، ومزاج مركب من الشعور الدافق والايمان الصادق والتفكير المنظم

إن اليوم السابع عشر من رمضان سيظل يوماً مشهوداً فى تاريخ الأمة العربية بنزول القرآن وغلبة الحق ، وفى تاريخ الأمة المصرية بنصرة الشباب ووحدة الأحزاب وعودة الدستور

احمد حسن الزيات

٤ ـ المجنـــــون

للأستاذ مصطفى صادق الرافعي

وضاق « نابغةُ القرن العشرين » بحُمق المجنون الآخر ؛ ورآه داهية دَوّاء كلما تعاقل أو تحاذق لم يأتِ له ذلك إلا بأن يكشفَ عن جنونه هو ؛ فلا يبرحُ يُجرّعُه الغيظَ مرةً بعد مرة ، ولا يزال كأنه يسبُّه في عقله ؛ فأراد أن يحتالَ لصرفه عن المجلس ، فدفع اليه الرسالة التي جاء بها (البريد المستعجل) ، وقال له : خذ هذه فاذهب فألقِها في دار البريد ، فيجيء بها الساعي مرة أخرى ، ثم تذهب الثانية فتلقيها ، ويعود هو فيجيء بها ، وتكونُ أنت تذهب ويكون هو يجيءُ فنضحك منه ويضحكون . . . .

قال س . ع : ولكن كم يذهب هذا وكم يجيءُ ذاك ؟

فغمزه (النابغة) بعينه أن اسكت ؛ فتغافل س . ع . وقال : كم تريد أن يجيءُ الساعي ليهتف بنابغة القرن العشرين ؟

قال المجنون الآخر : هذا هو الرأي ، فلستَ قائماً حتى أعرف كم مرةً أذهب ، فان الساعي لا يجيءُ إلا راكباً ، وأنا لا أذهب إلا راجلا ، ولن لي رجلي انسانٍ لا رجلي دابة

قال (النابغة) : سبحان الله ! بقليل من الجنون يَخرجُ من الانسان مجنونٌ كامل مُسْتَلَبُ العقل . بَيْدَ أنه لا يأتي النابغةُ إلا من كثيرٍ وكثير ، ومن النبوغ كله بجميع وسائله وأسبابه على تعدُّدها وتفرّقها وصعوبة اجتماعها لانسان واحد (كنابغة القرن العشرين) . فهو الذي توافتْ اليه كلُّ هذه الأسباب ، وتوازنت فيه كل تلك الخلال . إنه ليس الشأنُ في العلم ولا في التعليم ؛ ولكنما الشأنُ في الموهبة التي تبدع الابتكار كوهبة (نابغة القرن العشرين) ؛ فبها تجيءُ أعماله منسجمةً دالة بنفسها على نفسها ؛ ومتميزة مع كونها منسجمة دالة بنفسها على نفسها ؛ ومتلائمة مع كونها متميزة دالة بنفسها على نفسها .. هذا س . ع . كان الأولَ بين خرّيجي مدرسة دار العلوم ، مدرسة الأدب والعربية والمنطق والتحقيق وبلاغة اللسان وصحة النظر ، وهو يعرف أن الكتابَ يُلقى في البريد وعليه طابعٌ واحد ، فيصل الى غايته بهذا الطابع ؛ ثم يرى بعيني رأسه أربعة طوابع على هذه الرسالة المنوّهة باسم (نابغة القرن العشرين) فلا يدرك بعقله أن معنى ذلك أن من حق هذه الرسالة أن تصل اليَّ أنا أربع مرات .. ..

فطرب المجنون الآخر واهتزّ في مجلسه ، وصفّق بيديه ، وقال : « مما حفظناه » هذا الحديث : يحاسِبُ الله الناس على قدر عقولهم ؛ فلا تؤاخذ س . ع . فان مدرسة دار العلوم تعلمهم « فيها قولان » ، وفيها ثلاثة أقوال ، وفيها أربعة أوجه ؛ ولكنها لا تعلمهم فيها أربعة طوابع .. ..

ثم التفت الى س . ع . وقال له : لا عليك ، فأنا صاحبُه وخَليطُه وحاملُ عِلمه وراويةُ أدبه وأكبر دُعاتِه وثقاته ، وما علمتُ هذه الحكمة منه إلا في هذه الساعة

قال ا . ش : فاذا كان هذا ، فان لقائلٍ أن يقول : لماذا لم يضع على كتابه عشرة من الطوابع فيجيءُ به الساعي عشر مرات

قال (النابغة) : وهذا أيضاً . . .

وما شرُّ الثلاثةِ أمَّ عمرٍو بصاحبك الذي لا تصحبين ؛ إن الشمعة في يد العاقل تكون للضوء فقط ، ولكنها في يد المجنون للضوء ولاحراق أصابعه ... كم الساعة الآن ؟

قلنا : هي التاسعة

قال : ومتى ينصرف أهل هذا الندىّ ؟

قلنا : لتمام الثانية عشرة

قال : فاذا كان الساعي يتردد في كل ساعة مرة ، فهي أربعُ مرات إلى أن ينفضَّ المجتمعون هنا ؛ وبين ذلك ما يكون قد ذهب قومٌ عرفوا (نابغة القرن العشرين) ، وجاء قوم غيرهم فيعرفونه . وأما بعد ذلك فلا يجد الساعي هنا أحداً فلا تكون فائدة من مجيئه

فصفّق المجنون الآخر وقال : هذا وأبيك هو التهدّي الى وجه الرأي وسداده ، وهذا هو الكلامُ الرصينُ الذي يقوم على أصول الحساب والجغرافيا . . . « ومما حفظناه » هذا الحديث : لا مالَ أعودُ من العقل . فأربعة طوابع ، لأربع مرات ، في أربع ساعات ، وما عدا ذلك فاسرافٌ وتبذير ، ولا مال أعودُ من العقل . . .

* * *

ورضى (النابغة) عن صاحبه وقال له : لئن كانت فيك ضَمْنة إن فيك لبقية تعقل بها . . . ثم أخذ منه الرسالة ودسّها فى ثوبه . قلنا : ولكن ألا تفضّها لنعرف ما فيها ؟

فضحك وقال : أئن جاريتكم فى باب الطايبة والنادرة ، وجاريتُ هذا الأبلهَ فى باب جنونه وحمقه — تحسبون أن الأمر على ذلك ، وأن الرسالة فارغةٌ إلا من عنوانها ، وأن نابغة القرن العشرين هو أرسلها إلى نابغة القرن العشرين كما قال سعد باشا : (جورج الخامس يفاوضُ جورج الخامس) . . . ؟ لحقٌّ والله أن العقل الكبير الذى يأبى الصغائر هو الذى تأتى منه الصغائر أحياناً لتثبت أنه عقل كبير ، وهكذا تسخر الحقيقة من كبار العقول (كنابغة القرن العشرين)

فغضب المجنون الآخر وهمّ أن يتكلم . فقال له (النابغة) : أنت كاذبٌ فيما ستقوله

قلنا : ولكنه لم يقل شيئاً بعد ، فكما يجوز أن يكون كاذباً يجوز أن يكون صادقاً

قال : وسيخطىء فى رأيه الذى يبديه

قلنا : ولم يبد شيئاً من رأيه

قال : ولا يعرف الحقيقة التى سيتكلم عنها

قلنا : ويحك أدخلت فى عقل الرجل أم تعلم الغيب ؟

قال : لا هـذا ولا ذاك ولكنه قياسٌ منطقىٌّ يُتَوهَّم اطرادُه . إنه سيقول إنى مجنون . . .

فأخرج الآخر لسانه ... قال (النابغة) : تباً لك لقد رأيتُ الكلمةَ فى لسانك كأنها مكتوبة بحروف المطبعة . ويحك يا مَرْقمان [١] ألا تعرف أن لك دماغاً مخروقاً تسقط منه أفكارك قبل أن تتكلم بها ، ولولا أنه مخروقٌ لحفظت المتن : إن كل تخطئةٍ لى منك هى اعترافٌ لى منك بصواب

فنظر اليه الآخر نظرةً كان تفسيرها فى حواجبه إذ مطّ حواجبه [٢] ورقّصها . فقال (النابغة) : ونظراتُه خبيثةٌ ، مِلْحةُ الطعم ، مزعوقةٌ كماء البحر المرّ ، أخذ من البحر وأضيف إلى ملحه الطبيعى ملح . أكادُ أتهوّعُ من هذه النظرة فأقىء الآن فهمتُ معنى قولهم : « ملحةٌ فى عين الحسود » فان

اللح لايغلبه إلا اللح ، كالحديد بالحديد يُفلَج . هاتوا كأساً من معتقة الخمر ثم لينظرْ فيها الخبيث بهذه النظرة فان الخمر لابد مستحيلةٌ شربة ملح انجليزى . . . هذا الأبله ثقيل الدم كأن دمه مأخوذ من مستنقع . . . أهذا الذى لا يستطيع أن يقول لشىء فى الدنيا : هو لى ، إلا الفقر والجنون والخرافة — يكذّب ما فى الرسالة التى جاء بها البريد المستعجل ولا يصدق أنها مرسلة إلى نابغة القرن العشرين من صاحب السمو الأمير ؟

هذا الذاهب العقل هو كالجبان المنقطع فى وحشة القفر فى ظلام الليل ، إذا توجّس حركةً ضعيفة انقلبت فى وهمه قصةَ جريمةٍ ملؤها الرعب وفيها القتل والذبح . ولهذا يخشى ما فى الرسالة التى جاءت من صديق صاحب السمو . هؤمُ اقرأوا الرسالة

وفضضنا الغلاف فاذا ورقتان ممهورتان بتوقيع أمير معروف إحداها صكٌّ بألف جنيه تُدفع (لنابغة القرن العشرين) ، والثانية أمرٌ بالقبض على المجنون الآخر ... وإرساله الى المارستان

* * *

وذهبتُ أصلح بينهما فقلت : إن فى الحديث الشريف : بينما رسولُ الله صلى الله عليه وسلم فى أصحابه إذ مرّ به رجل ، فقال بعض القوم هذا مجنون . فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : هذا مصاب ، إنما المجنونُ المقيم على معصية الله

فقال صاحب المتن : « مما حفظناه » : إنما المجنون المقيم على معصية الله

قلت : وليس فيكما مقيم على معصية الله . . .

قال المجنون : « مما حفظناه » وليس فيكما مقيم على معصية الله

قلت : هذا ليس من الحديث ولكنه من كلامى . قال (النابغة) أنبأتكم أن هذا الأبله يَضلّ فى داره كما يضلّ الاعرابى فى الصحراء ؛ وأن الأسطول الانجليزى لو استقرّ فى ساقية يدور فيها ثور ، لكان ذلك أقرب الى التصديق من استقرار العقل فى رأس هذا الأبله ؟

فاحتدمَ الآخر وهمّ أن يقول « مماحفظناه » ولكنى أسكتّه وقلت (للنابغة) : إنك دائماً فى ذروة العالم فلا غَرْوَ أن ترى المحيطَ الأعظم ساقية . والنوابغ هم فى أنفسهم نوابغ ، ولكنهم فى رأى الناس مرضىً بمرض الصعود الخيالىّ إلى ذروة

---

(١) المرقمان والرقم الأحمق الذى يتمزق عليه رأيه فلا يجتمع له

(٢) هما حاجبان ولكن هذا الأسلوب هو الأصح هنا وهو كثير فى العربية

العالم . ومن هنا يكون المجانين هم المرضى بمرض النزول الحقيقى إلى حضيض الآدمية . فهناك يعملون فتكون أفكارهم من أعمالهم، ثم تكون عقولهم من أفكارهم ، فيكون هـــذا هو الجنون فى عقولهم . وذلك معنى الحديث : إنما المجنون المقيم على معصية الله

قال (النابغة) : لعمرى إن هذا هو الحق . فنبوغُ العقل مرضٌ من أمراض السموّ فيه ؛ فالشاعر العظيم مجنون بالكون الذى يتخيله فى فكره ، والعاشق مجنون بكون آخر له عينان مكحولتان ؛ والفيلسوف مجنون بالكون الذى يدأب فى معرفته ؛ ونابغة القرن العشرين مجنون ... لا . لا . قد نسينا ! . ش فهو مجنون و س . ع فهو مجنون

وكلُّ الناس مجنونٌ بليلى   وليلى لا تُقِرُّ لهم بذا كا

ومن حقّ ليلى ألا تقر لهم إذ هى لا تقر إلا لنابغة القرن العشرين وحده . وما أعجبَ سحرَ المرأة فى الكون النفسانىّ للرجال ؛ أما فى الكون الحقيقى فهى أنثى كأناث البهائم ليس غير . وأعقلُ الرجال من كان كالحمار أو الثور أوغيرهما من ذكور البهائم . فالحمار لا يعرف الحمارة إلا أنها حمارة ، والثور لايعرف البقرة إلا أنها بقرة ؛ ولا ينظمون شعراً ولا يكتبون « أوراق الورد » .. ... وإناث البهائم أمّاتٌ [(١)] لا غير ، ولكن العجيب أن ذكورتها ليست آباءً ؛ فهذه الذكورة طفيليةٌ فى الدنيا ، والطفيلُ لا يأكل إلا بحيلة يحتال بها فيكون صاحب نوادر وأضاحيك وأكاذيب . ولهذا كان عشق الرجال للنساء ضُروبا من الخداع والأكاذيب والأضاحيك والحيل والغفلة والبلاهة . وإذا نظرنا إليه من أوله فهو عشق ، أما آخره فهو آخر الحيلة والأكذوبة ، وهو قول الطفيلى قد شبعتُ وقد رويت ... ويحكم أين أولُ الكلام ؟

قلنا : أوله ما أعجب سحر المرأة فى الكون النفسانى للرجال

قال : نعم هذا هو . إنه سحر لا أعجب منه فى هذا الكون النفسانى إلا سحر الذهب . فلو مُسِخت المرأةُ الجميلة شيئاً من الأشياء لكانت سبيكةً ذهبيةً تلمع . ولهذا يُوجدُ الذهبُ اللصوص فى الدنيا ، وتوجد المرأةُ الجميلة لصوصا آخرين ، فيجب أن يصان الذهب وأن تصان المرأة

(١) يقال فى غير العاقل أمات وفى العاقل أمهات

قلت : ولكن أليس من المال فضة وهى توجد اللصوص كالذهب ؟

قال : نعم ، وفى النساء كذلك فضةٌ وفيهن النحاس . ولو أنت ألقيت ريالاً فى الطريق لأحدثتَ معركة يختصم فيها رجلان ثم لا يذهب بالريال إلا الأقوى . ولو تركت قرشاً لتضارب عليه طفلان ثم لا يفوز به إلا من عض الآخر ...

ولكن (فورد) الغنى الأمريكى العظيم الذى يجمع يَده على أربعمائة مليون جنيه لا يتكلم عن القرش ؛ (ونابغة القرن العشرين) الذى يملك (ليلى) لا يتكلم عن غيرها من قروش النساء

قلت : فانى أحسبك أعلمتنى أن اسمها فاطمة لا ليلى

قال : هل يستقيم الشعر إذا قلت : وكل الناس مجنون بفاطمة وفاطم لا تقرُّ لهم ؟ قلت لا .

قال : إذن فهى (ليلى) ليستقيم الشعر ... أما حين أقول : أفاطمُ مهلاً بعد هذا التدلّل ، فهى فاطمة ليصح الوزن

قلت : يُشبه والله ألا يكون اسمها ليلى ولا فاطمة ؛ وإنما هى تسمى حسب الوزن والبحر ، فاسمها فَعُولنْ أو مُفَاعَلتن ...

* **

ثم قلنا له : فما رأيك فى الحب ، فانه ليقال : إنك أعشقُ الناس وأغزل الناس ؟

قال : إن ذلك ليقال (وهو الأصح) . ثم أطرق يفكر . وبدا عليه أنه مدهوش ذاهب العقل كأنه من قلبه على مسافة أبعد من المسافة التى بينه وبين عقله . وخيّل إلىّ أن النساء قد حُشِرْن جميعاً فى رأسه ومرت كل واحدة تعرض مفاتنها وغزلها وتلاثم هذيانه بهذيان من جمالها ، فهو يرى ويسمع ويَمْرض ويَتحيّر . ثم اضطرب كالذى يحاول أن يمسك بشىء أفلت منه ؛ فلم ينبّهه إلا قول المجنون الآخر : « مما حفظناه » أن أعرابية سئلت عن العشق فقالت : إنه داء وجنون ...

قال : اسكت يا ويلك لقد أطفأت الأنوار بكلمتك المجنونة . كان فى رأسى مرقص عظيم تسطع الأنوار فيه بين الأحمر والأخضر والأبيض ؛ وترقص فيه الجميلات من الطويلة والقصيرة والممشوقة والبادنة ، فقذفتَ بالماء والجنون قبحك الله فأخرجتنى

عنهن اليك . أحسبُ أنك لو انتحرت لصالح العالم أو صالحتُ أنا على الأقل ، فاذا أردت أن تشنق نفسك فأنا آتيك بالحبل الذي كنتُ مقيدا فيه أي الحبل الذي عندي في الدار ... على أن رأسك الفارغ مشنوقٌ فيك وأنت لا تدرى .

قال الآخر : ما أنت مُنذُ اليوم إلا في شنقي وتعذيبي أو في شنق عقلي على الأصح . « ومما حفظناه » قول الأحنف بن قيس : إني لأجالس الأحمق ساعةً فأتبيّنُ ذلك في عقلي ...

فلم يَرُعْنا إلا قيامُ المجنون مُسلَّحاً بحذائه في يده ... وهو حذاء عتيق غليظ يقتل بضربة واحدة ؛ فحلنا بينهما وأثبتناه في مكانه . وقلنا : هذا رجل قد غُلِب على عقله فلا يدرى مايقول ؛ فاذا هو دل على أنه مجنون ، أفلا تدلّ أنت على أنك عاقل ؟ ما سألناك في انتحاره وجنونه ، بل سألناك رأيك في الحب ؛ وما نشك أنك قد أطلتَ التفكير ليكون الجواب دقيقاً ، فانك « نابغة القرن العشرين » ، فانظر أن يكون الجوابُ كذلك

قال : نعم إن العاقل إذا ورد عليه السؤال أطال الفكر في الجواب . فاكتب يا فلان (س . ع) :

(جلس نابغة القرن العشرين مجلس الاملاء مُرتجلاً فقال[1] : قصةُ الحب هي قصة آدم ، خلق الله المرأة من ضلعه . فأول علامات الحب أن يشعر الرجل بالألم كأن المرأة التي أحبها كسرت له ضلعاً ... وكل قديم في الحب هو قديم بمعنى غير معقول ، وكل جديد فيه هو جديد بمعنى غير مفهوم ؛ فغيرُ المعقول وغيرُ المفهوم هو الحب

والجمرةُ الحمراءُ إذا قيل إنها انطفأت وبقيت جمرة فذلك أقرب إلى الصدق من بقاء الحب حياً بمعناه الأول إذا انطفأ أو بَرَدَ

والعاشق مجنون . وجنونُه مجنون أيضاً ، فهو كالذي يرى الجمرةَ منطفئةً ويرى مع ذلك أنها لا تزال حمراء ، ثم يُغمِضُ في خياله فيراها وردة من الورد ... وإذا سألته أن يصف الجمالَ الذي يهواه كان في ذلك أيضاً مجنونَ المجنون كالذي يرى قمر السماء أنه قد تفتّت وتناثر ووقع في الروضة فكان نِثارُه هو الياسمينَ الأبيض الجميل الذكي ...

[1] هذا نص عبارته حين يريد التخليط

والمجنون يرى الدنيا بجنونه والعاقل يراها بعقله ؛ ولكن العاشق المخبول لا ينظر من يهواه إلا ببقيةٍ من هذا وبقيةٍ من ذلك فلا يخلُصُ مع حبيبه إلى جنون ولا عقل

(والمجهول) إذا أراد أن يظهر في دماغ بشريّ لم يسعه إلا أحدُ رأسين : رأسِ المجنون ورأسِ العاشق

ولا صعوبة في الحكم على شيء بأنه خير أو شر إلا حين يكون الخير والشر امرأة معشوقة . أما أوصاف الشعراء والكتاب للجمال والحب فهي كلها تقليد قد توسعوا فيه ؛ والأصل أن ثوراً أحب بقرة فكان يقول لها : يانجمة القطب التي نزلت من السماء لتدور في الساقية كما دارت في الفلك . . .

قال (النابغة) : هذا رأيي في حب العاشقين ، أما حبي أنا (نابغة القرن العشرين) فيجمعه قولك : فلّ ، ورد ، زهر . . .

قلنا ما هذه الألغاز ، وهل للحب مَتْن كقولهم : حروفُ القَلْقَلة يجمعها قولك (قُطْبُ جَدٍ) ، وحروف الزيادة يجمعها قولك (سألتمونيها) ؟

فتضاحك (النابغة) وقال : تكاثرت الظباءُ على خِراش ، فلكيلا ننسى ... إن كل حرف هو بدءُ اسم ، الفاء فاطمة ، واللام ليلى ، والواو وردة ، والراء رباب ، والدال دلال ، والزاي زكية ، والهاء هند ، والراء رباب

قلنا : رباب قد مضت في (ورد) . قال : كنا تهاجرْنا مدةً ثم اصطلحنا بعد هند ...

***

قلت : هكذا النوابغ فان رجلاً أديباً كانت كنيته (أبا العباس) فلما « نبغ » صيّرها (أبا العِبر) وتفتّق له نبوغه أن يجعلها تاريخاً يعرف منها عمره . قالوا فكان يزيد فيها كل سنة حرفاً حتى مات وهي هكذا :

أبو العبر طَرَدْ طِيل طَليري بَكْ بَكْ بَكْ

(طنطا) مصطفى صادق الرافعي

الى آنستين : هل تتفضل الآنسة التي كتبت إلى من القاهرة بغير توقيع فتتخذ لها عنواناً أخاطبها به . وهل تتفضل مثل ذلك الآنسة التي كتبت من دمشق بغير توقيع ؟ إن من الجواب ما لايكون صريحاً كما يريد السائل إلا إذا كان جواباً للسائل وحده

الرافعي

حوادث الشرق الأقصى

مشروع اليابان في الاستيلاء على الصين

بقلم باحث دبلوماسي كبير

بينما تشغل أوربا والعالم بأسره بتطورات المشكلة الايطالية الحبشية وما يترتب على تفاقمها من أخطار داهمة على سلام أوربا وسلام العالم ، إذا بالشرق الأقصى يجيش بحوادث خطيرة قد يكون لها أكبر الأثر في مصاير الصين والشرق الأقصى كله ، ولكن يحجّب عنا خطورتها ، نأيها وغموضها وانحصارها في ذلك الركن من العالم ؛ وهي ليست في جوهرها جديدة أو مستقلة ، ولكنها حلقة جديدة في ثبت الحوادث التي يضطرم بها الشرق الأقصى منذ أربعة أعوام ، والتي تضرمها وتذكيها السياسة اليابانية كلما آنست فرصة صالحة للعمل

وليس من الصعب أن تلمس في حوادث الصين الجديدة رغم غموضها ، وجه الصلة بينها وبين الحوادث المماثلة التي تقع في الصين بين آونة وأخرى ، فالسياسة اليابانية هي التي تنظمها وتوجهها بأساليب متماثلة ، وتتذرع لاضرامها بنفس المعاذير : اعتداء على المصالح اليابانية في ناحية من النواحي ، أو مقتل أحد الرعايا اليابانيين ، أو اضطراب الأمن وعيث العصابات ، أو دسائس الشيوعية ؛ كذلك ليس من الصعب أن تتحرى العوامل والبواعث الدفينة التي تحمل هذا الغزو الياباني المنظم الى داخل الصين بين آونة وأخرى تارة بالقوة العنيفة ، وتارة بالوسائل السياسية ، فاليابان تكاد تفصح عن نياتها ومقاصدها الاستعمارية البعيدة في كل مناسبة ، وإن كانت ما تزال تستتر وراء بعض المظاهر والعبارات الخلابة التي يعمر الاستعمار في صوغها

وقد بدأت اليابان منذ بضعة أسابيع في القيام بمحاولة جديدة لبسط نفوذها على مناطق جديدة من الصين ؛ ومهد قادة الجيش الياباني في شمال الصين لذلك بمؤتمر عقدوه في دايرن ثغر منشوريا الجنوبي ، ووجهوا على أثره بلاغاً نهائياً إلى الحكومة الصينية الوطنية (حكومة نانكين) ضمنوه المطالب الآتية :

(١) قمع الدعوة الشيوعية في الصين ، وهي دعوة مهدها ومصدرها منغوليا

(٢) قمع أعمال « الكومن تانج » (الحزب الوطني الصيني) وأعمال الجمعية الوطنية الصينية المسماة بجمعية « ذوى الأقمصة الزرقاء » في شمال الصين

(٣) تتعهد الحكومة الصينية بأن تتبع منذ الآن سياسة ودية نحو اليابان

وبينما كانت حكومة نانكين تدرس ذلك البلاغ ، إذ وقعت عدة حوادث في منطقة الحياد الشمالية في شمال بكين اقتضت تدخل السلطات اليابانية ، وقامت ثورات محلية صغيرة في عدة مناطق طولب خلالها بتخفيض الضرائب والاستقلال عن حكومة نانكين ؛ ولم يكن أصبع العسكرية اليابانية بعيداً عن هذه الحوادث

ولم تلبث السياسة اليابانية أن أفصحت عن غرضها الحقيق من القيام بهذه الحركة ؛ فقد أبلغت السلطات المحلية في ولايات الصين الشمالية ، وأبلغت حكومة نانكين بوجوب إنشاء حكومة إدارية مستقلة في ولايات خمس هي : هوبي ، وتشاهار ، وشانسي ، وسويان ، وشانتونغ ، وتكون عاصمتها بكين ، العاصمة الأمبراطورية السابقة ؛ وقصد اليابان من ذلك أن تقيم دولة متوسطة بين أملاكها الصينية في الشمال أعني منشوكيو وجهول ، وبين وادي النهر الأصفر حيث يبدأ نفوذ حكومة نانكين الحقيقي

وقد أفرغت اليابان مطلبها في صيغة بلاغ نهائي ، وأنذرت الحكومة الوطنية الصينية بأنها ستتخذ الاجراءات العسكرية اللازمة إذا لم تحقق رغبتها ؛ ولكن حكومة نانكين لم تذعن لهذا الوعيد ، وكذلك لم يذعن زعماء الشمال ، ولم تنفذ اليابان وعيدها في الحال ، ولكنها آثرت أن تعمد مؤقتاً إلى العمل السياسي ؛

وفي الأنباء الأخيرة أن الضغط الياباني قد أحدث أثره الأول وذلك بحمل حكومة نانكين على الموافقة على إنشاء إدارة مستقلة في مقاطعتي تشاهار وهوبي يكون مركزها في بكين ، ويتولى إدارتها مجلس مؤلف من زعماء الشمال ، ويكون لها طابع الاستقلال التام في شئونها الداخلية وعلاقتها الخارجية ، ما عدا الجمارك والبريد فتحتفظ حكومة نانكين بإيرادها ؛ ومعنى ذلك أن اليابان

قد فازت بتحقيق الخطوة الأولى فى مشروعها لفصل الشمال عن الجنوب ووضعه تحت نفوذها السياسى والاقتصادى

* * *

ونظرة بسيطة إلى خريطة الصين توضح لنا فداحة هذا المشروع اليابانى؛ فالولايات الخمس التى يراد فصلها عن الحكومة الوطنية هى من أهم وأغنى الأقاليم الصينية؛ وفصلها على هذا النحو يشطر الصين إلى شطرين، ويمهد إلى بسط النفوذ اليابانى على الأقاليم الشمالية حتى النهر الأصفر (الينج تسى)؛ وتتظاهر السياسة اليابانية بأنها فى هذه المحاولة إنما تعبر عن رغبات سكان هذه الأقاليم، والواقع أنها تعتمد فى ذلك على مؤازرة الجنرال «شنج تشى يوان» زعيم الشمال وخصيم الحكومة الوطنية، وتعتمد من جهة أخرى على محالفة حكومة «كوانتونج» الجنوبية (حكومة كنتون) وهى أيضاً خصيمة الحكومة الوطنية؛ فالحكومة الوطنية أو حكومة نانكين تجد نفسها بين نارين فى هذا الصراع الذى يوشك أن يقوض دعائمها

ويجب أن نذكر إلى جانب ذلك أن اليابان قد استولت قبل ذلك بأربعة أعوام على أقليم منشوريا الغنى، ولم تعبأ بتدخل عصبة الأمم وقراراتها النظرية؛ وأنشأت فيه جمهورية صورية تحت الحماية اليابانية باسم جمهورية «منشوكيو»؛ ولبثت بعد ذلك تتحين الفرص للزحف جنوباً متذرعة بمختلف الحجج والأعذار حتى اقتحمت قواتها «السور الكبير» واستولت على قسم كبير من إقليم جيهول، وبسطت نفوذها على جميع الأراضى الواقعة شمال بكين؛ وليست الحركة الانفصالية الجديدة التى تدبرها السياسة اليابانية إلا حركة غزو جديدة، تستأنف بها اليابان نشاطها فى سبيل تنفيذ مشروعها الاستعمارى الضخم الذى تتحين الفرص لتحقيقه كلما شغلت الدول الغربية بأزماتها الخطيرة

والظاهر أن السياسة اليابانية كانت تعبر عن نياتها ومشاريعها المستقبلة تعبيراً صادقاً حينما ألقت إنذارها الشهير منذ نحو عام ونصف إلى أوربا وأمريكا وهو: «إرفعوا أيديكم عن الصين» أو بعبارة أخرى حينما صرحت بأنها تجرى فى سياستها الصينية على مبدأ «آسيا للأسيويين» مثلما تجرى أمريكا فى سياستها على مبدأ «مونرو» الشهير أو على مبدأ «أمريكا للأمريكيين»، وقد كانت اليابان ترقب دائماً مشاريع الدول الغربية وتوغل نفوذها فى الصين بمنتهى الاهتمام والتوجس؛ وتعمل على مقاومة نفوذها وامتيازاتها بالوسائل الاقتصادية والعسكرية ما استطاعت إلى ذلك سبيلاً، ولكنها جرت فى الأعوام الأخيرة على سياسة عملية يؤيدها التدخل العسكرى، وكان استيلاؤها على منشوريا تحت سمع أوربا وأمريكا ورغم تدخل عصبة الأمم تجربة عملية ناجحة تحمت بها عود الدول الكبرى ذات المصالح فى الصين مثل بريطانيا العظمى وروسيا وفرنسا وأمريكا، واستطاعت أن تقف على مدى المقاومة التى يمكن أن تتذرع بها الدول لمعارضتها؛ بيد أن الدول خلا روسيا لم تبد سوى معارضة نظرية، ومع أن روسيا وأمريكا قدمتا على غزو اليابان للأراضى الصينية احتجاجات شديدة، فان اليابان لم تحفل بأى احتجاج أو معارضة؛ ولما توسعت اليابان فى مشروعها وغزت ثغر شنغهاى لترغم الصين على الاعتراف بالحالة الواقعة فى منشوريا، احتجت الدول الغربية بنصوص معاهدة الدول التسع (معاهدة سنة ١٩٢٢) التى تنص على احترام سيادة الصين ووحدتها الأقليمية والادارية، ولكن اليابان لم تنسحب من شنغهاى إلا أمام المقاومة العنيفة التى استطاعت أن تنظمها حكومة نانكين

والآن تمضى اليابان فى تنفيذ مشروعها لاحتلال الصين واستعمارها مرحلة أخرى. وهى تعمل فى ظروف صالحة جداً؛ فالدول الغربية وأمريكا مشغولة بالأزمة الدولية الخطيرة التى أثارتها المشكلة الحبشية، والصين فى حال من التفرق والتمزق لا تمكنها من أية مقاومة عملية، فحكومة الجنوب أو حكومة كوانتونج (وعاصمتها كنتون) تخاصم الحكومة الوطنية وتناوئها، والحكومة الوطنية (حكومة نانكين) لا يكاد يتعدى سلطانها الأقاليم الوسطى. أما الأقاليم الشمالية وهى مسرح النشاط اليابانى، فتكاد تخرج جميعاً عن قبضتها ولا تكاد تتمتع فيها بأية سلطة أو نفوذ يذكر؛ والسلطة فيها موزعة بين جماعة من القادة العسكريين المحليين، أهمهم وأقواهم الجنرال «شنج تشى يوان» زعيم الشمال وهو من أنصار سياسة التفاهم مع اليابان. ويجب أن نذكر أن اليابان تعمل الآن مطمئنة من جانب روسيا التى اضطرت إزاء تطور الحوادث وتفاقمها فى أوربا أن تترك ميدان الصراع مع

اليابان فى الشرق الأقصى ، وأن تنسحب نهائياً من منشوريا بعد أن باعت لليابان نصيبها فى السكة الحديدية الشرقية ؛ وبذلك خفت عوامل الاحتكاك القديمة بين اليابان وروسيا ، وهى عوامل كانت تحسب اليابان حسابها كلما أقدمت على عمل جديد فى هذا الميدان

أما الدول الغربية فليس من المنتظر أن تقوم فى الظرف الحاضر بعمل ذى شأن ، وخصوصاً بعد ما تصدعت جبهتها المشتركة ، وأضحت كل تعمل بمفردها ؛ بيد أن الصين تحاول من جانبها أن تحمل الدول الغربية على التحرك ، وذلك بإثارة التمسك بمعاهدة الدول التسع لدى الدول الموقعة عليها ، وهى الولايات المتحدة (أمريكا) وبريطانيا العظمى وفرنسا وإيطاليا وبلجيكا وهولندة والبرتغال والصين واليابان ذاتها ؛ وتنص هذه المعاهدة على احترام سيادة الصين واستقلالها ووحدتها الادارية والأقليمية ، وعلى معاونتها على النهوض والتقدم بكل الوسائل ، واستعمال الدول الموقعة لنفوذها فى تأييد مبدأ الفرص المتساوية فى النشاط التجارى والصناعى فى الصين لجميع الأمم ، وعلى عدم انتهاز ظروف الصين للحصول على امتيازات خاصة ؛ فهذه المعاهدة هى التى تثير الصين وتثير الدول نصوصها اليوم احتجاجاً على عمل اليابان فى شمال الصين ، بيد أنه من المشكوك فيه أن يسفر هذا الاحتجاج النظرى عن أية نتيجة عملية ؛ فاليابان تمضى دائماً فى طريقها غير حافلة بالنصوص التى تعرقل مشاريعها

على أن هناك عاملاً يحسب حسابه ؛ فان اليابان إذا استمرت فى سياسة التوغل فى الصين على هذا النحو ، فانها تقترب شيئاً فشيئاً من حدود الهند البريطانية ، وحدود الهند الصينية الفرنسية ؛ وبريطانيا العظمى لا تستطيع السكوت طويلاً على هذه الحركة التى قد تفضى إلى تهديد سيادتها فى الهند ؛ كذلك تشعر فرنسا بالخوف على مستقبل الهند الصينية ، إذا ما اقتربت اليابان من جنوب الصين . والواقع أن بريطانيا رغم انشغالها بالمشكلة الحبشية واحتمالاتها المزعجة ، لم تفتر عن العمل لمقاومة التوغل اليابانى فى الصين ، والصراع يضطرم دائماً بين الدولتين وإن كان ما يزال يقتصر على الوسائل المستترة ؛ وآخر محاولة بريطانية لمقاومة النفوذ اليابانى ، هى اتفاق بريطانيا مع حكومة نانكين على القيام بتنظيم المالية الصينية على يد خبير بريطانى ، وعقد قرض للصين فى انكلترا ، وهى محاولة تفطن لها اليابان وتعمل لمعارضتها ؛ وإذا كانت الدلائل تدل على أن أمريكا قد أخذت تبتعد شيئاً فشيئاً عن التمسك بسيادة المحيط الهادى وعن التعرض لسياسة التوسع اليابانى فى الصين ، فانها من جهة أخرى تدل على أن بريطانيا العظمى ما زالت تعتبر قيام التوازن الدولى فى الصين أمراً حيوياً لسلامة الهند وباقى أملاكها فى الشرق الأقصى ؛ ولم يكن إنشاء انكلترا لقاعدة سنغافورة البحرية الهائلة بعيداً عن التحوط للزحف اليابانى نحو الجنوب

وليس بعيداً أن يكون تقدم التوسع اليابانى فى الشرق الأقصى على هذا النحو المزعج عاملاً جوهرياً فى التقرب بين انكلترا وروسيا ، واتحادهما معاً على مقاومة هذا الخطر اليابانى الذى تشعر كلتاهما باشتداده وطأته ؛ فاذا تم ذلك ، فانه يسجل انقلاباً خطيراً فى السياسة الدولية ، قد يكون له أبعد الأثر فى تطور الحوادث فى الشرق الأقصى

(***)

المرأة كما يراها شوبنهور

للأستاذ زكى نجيب محمود

إن المرأة بحكم تكوينها لا تستطيع أن تضطلع بجليل الأعمال — الجسمى منها والعقلى على السواء ، وإن رسالتها فى الحياة لتنحصر فى الانسال وتعهد الأطفال ، مع وجوب طاعتها للرجل وخضوعها له ؛ فقد شاءت لها الطبيعة أن تسلك فى حياتها سبيلا هادئاً مطمئناً وادعاً ، لا تصادف فيه ما يصادفه الرجل فى حياته من التطرف فى اللذة والألم كليهما — وإذا كانت الحياة قد ركنت الى المرأة فى أداء هذه الرسالة الكبرى ، وأرادت بها أن تكون أداة لتربية النشء فى مدارج الطفولة الباكرة ، فقد أعدتها أعدادا عقلياً يلائم الغرض من وجودها ، فجاءت ضعيفة العقل قصيرة النظر ، حتى لكأنها طفل كبير ، لكى يتم بينها وبين أطفالها شىء من التناسق والانسجام ، أو إن شئت فقل إنها مرحلة عقلية متوسطة بين الطفولة والرجولة ، فالرجل هو الكائن البشرى الحق الذى قصدت اليه الحياة

عرفت الطبيعة فى المرأة ضعفها فوهبتها الجمال تغزو به أفئدة الرجال لينهض هؤلاء بعبئها عن رضى وطواعية ، ولكن الطبيعة فى عطائها كانت كعهدنا بها مقترة مغلولة اليد ، فلم تهب المرأة من الجمال إلا بمقدار ما تستطيع أن تتخذ منه أداة لحفز الرجل على التناسل ليستمر البقاء ، حتى إذا ما انقضت مهمتها فى ذلك عادت الحياة فسلبتها ما كانت وهبتها من فتنة وجمال ، وتركتها ذابلة ذاوية تبكى شبابها المفقود ... وإن الفتاة مهما اشتعلت حماسة لحريتها ، واصطنعت لنفسها مهن الرجال ، لَتَشْعُرُ فى أعماق نفسها أنها ما خلقت إلا للمعركة الجنسية ، تتوسل لها بالحب وما يتصل به من تزين ودلال

ومما يلاحظ أنه كلما ارتفع الكائن الحى فى سلم الكمال كان أبطأ وصولا الى مرتبة النضوج ، فبينما المرأة تكتمل نضوجها العقلى فى سن الثامنة عشرة ، ترى الرجل لا يكاد يبلغ نهاية هذا النضوج إلا بعد الثامنة والعشرين ، على أن المرأة لا تدرك من القوة العقلية إلا حدا ضئيلا لا يمكنها من أن تنفذ الى حقائق الأشياء ، ولذا يسهل انخداعها بالظواهر الباطلة ، كما أنها كثيرا ما تتعلق بتوافه الأمور دون الهام منها والخطير ؛ كذلك تتميز المرأة بأنها تعيش فى حاضرها فقط ، نظرا لعجزها عن أن تنفذ بفكرها الى الماضى أو المستقبل ، فبالقوة العقلية وحدها يستطيع الرجل أن يحطم حدود الزمن التى تقيد المرأة كما تقيد الحيوان الأعجم ، فيرسل بصره إلى الأفق النائى البعيد ، ويضم فى نفسه أطراف الزمان من الأزل الى الأبد ؛ ولعل هذه الخاصة هى التى يتميز بها الرجل دون المرأة ، وأعنى بها النظر الشامل العميق ، هى العلة فيما يلاحظ عليه من هم وانقباض كثيرا ما يغلبان عليه حتى ينسياه ما قد يحيط به من عوامل الهناءة والسرور . أما المرأة فهى تنعم بضعفها العقلى لأنها تلهو بلذائذ يومها غير حافلة بما يأتى به الغد من ويلات وكوارث . فهى فى ذلك كالحيوان الأجهر (ضعيف البصر) الذى يرى ما هو قريب منه فى وضوح وجلاء ، ولكن بصره لا يمتد الى أبعد من أنفه ؛ أى أنها قد تستطيع أن ترى الحوادث الحاضرة أدق مما يراها الرجل ، ولكنها عاجزة كل العجز عن اجتياز حاضرها الى ماضيها ومستقبلها ؛ وربما كان هذا النظر الضيق المحدود هو الذى دفع المرأة إلى ما تتصف به عادة من إسراف قد يصل إلى حد الحماقة والجنون ؛ فهى تريد أن تنعم « الآن » وليأت بعد ذلك الطوفان ! ولكن اشتغال المرأة بحاضرها واستمتاعها بلذائذ يومها لا يخلو من حكمة بالغة ، لأن ذلك يكسبها مرحاً وابتهاجاً بالحياة يمكنانها من القيام بواجبها الخطير نحو الرجل ، وهو الترويح عن نفسه مما يعانيه من شقاء وعناء ، فما أكثر ما تكون المرأة جنة فيحاء تزيل بسحرها عن كاهل الرجل المتعب المضنى عبء الهم الثقيل

ولكن لا ينبغى أن يتيه الرجل بما أوتى من العقل فلا يعنى لرأيها ولا يحفل بما تقول ، بل خير له إذا ما حزب الأمر واشتد الخطر أن يستشيرها الرأى ويستهديها السبيل ، وذلك لأن طريقة المرأة فى فهم الأشياء تخالف طريقة الرجل كل المخالفة ، فهى تحب بطبعها أن تسلك أخصر الطرق التى تؤدى إلى الغاية المقصودة ، هذا فضلاً عن مقدرتها على رؤية القريب بسبب ضعف قواها العقلية الذى أشرنا اليه ، فهى بذلك قد تلفت نظر الرجل إلى ما يغفل عن إدراكه لقربه منه ، إذ هو كما قدمنا مفطور بطبعه على النظر البعيد ؛ أضف إلى ذلك أن المرأة ألصق بالحقائق الواقعة فترى الحوادث كما هى لا تضيف اليها ولا تنقص منها ، أما الرجل فاذا ما اضطربت عواطفه ، انطلق خياله يهول فى الأمر

ويزيد عليه فتضيع الحقيقة فى ثنايا الأوهام ويستحيل عليه التفكير السليم

وقد كان هذا الضعف العقلى الذى تتميز به المرأة قيداً حصرها فى دائرة الحقائق والوقائع المحسوسة دون أن تكلف نفسها مؤونة التفكير المطلق المجرد ، فنتج عن هذا شدة عطفها على البائسين وحدبها على الأشقياء ، لأنها لا ترى من حقائق الكون إلا هذه الحقائق الجزئية التى تراها وتلمسها ؛ وليس فى مقدورها أن تنظر إلى العالم كله وحدة متصلة وحقيقة واحدة ينمحى فى خضمه المتلاطم كل ما فيه من بؤس الأفراد وشقائهم ، ولكن إن كان هذا النظر الواقعى المحدود قد أكسب المرأة عطفها الجليل ، فقد جنح بها كذلك إلى ألأم الطباع وأخسها ، فهى أبعد ما يكون الانسان عن العدل والشرف ويقظة الضمير وما اليها من الصفات الخلقية التى لا تستساغ إلا بالنظر المجرد العميق ، وقد ألجأها ما أحسته فى نفسها من ضعف إلى أساليب المكر والختل والخداع ، فهيهات أن تجد بين النساء امرأة واحدة قد خلص طبعها من الخيانة والغدر والكذب ؛ فهذه هى عدتها التى وهبتها إياها الطبيعة لتدافع بها عن كيانها ووجودها كما أمدت الضوارى بالمخالب والأنياب ، فليس لدى المرأة من عتاد تدرأ به عن نفسها ما يتهددها من خطر إلا المكر والخداع ، لا فرق فى ذلك بين امرأة وامرأة ، وهى تلجأ إلى هذا السلاح الفكرى فى كل ظرف دون أن تشعر أنها ترتكب بذلك ما يناقض فضيلة أو شرعاً ، بل إنها على نقيض ذلك تعتقد أنها إنما تستخدم قوة طبيعية فيها لها كل الحق فى استخدامها كما يستعين الأسد بمخالبه ساعة الخطر ؛ ولما كان الخداع مفطوراً فى دماء النساء كن أقدر من الرجل على إدراك خداع الناس . ولذلك كان من الغفلة والبلاهة أن يحاول الرجل خداع المرأة لأنها فى هذا الميدان فارسة لا يشق لها غبار . ولقد نشأ من هذا الجانب فى النساء ميل غريزى إلى العقوق والخيانة ونكران الجميل ؛ وما أهون على المرأة أن تحنث فى يمينها ، وما أيسر عليها أن تمتد يدها الى السرقة حتى ولو لم تكن فى حاجة الى ما تسرقه

لقد اتخذت الحياة من المرأة وسيلة للتعبير عن إرادتها فى البقاء ، وإن المرأة لتعلم فى أعماقها أنها خلقت لحياة النوع قبل أن تخلق لشخصها ، ولذا تراها تسمى جهدها لأداء واجبها الأول نحو النوع وإن تعارض ذلك مع واجبها نحو الرجل الذى يتعهدها ويرعاها ، فهى تأبى مثلا إلا أن تلد وترضع وتربى مهما كلفها ذلك من عناء ؛ وهنا تختلف المرأة عن الرجل اختلافاً جوهرياً ، فبينا هى تتوفر لخدمة النوع وبقائه ، ترى الرجل لا ينصرف بمجهوده إلا لبقاء شخصه ؛ أعنى أن المرأة خلقت وسيلة لبقاء النوع ، أما الرجل فهو غاية فى حد ذاته — ومن هذا الفارق بين الجنسين تفرع وجه اختلاف آخر بينهما : فالرجال لا يكاد يعضهم يأبه ببعض ، بل كل منهم منصرف الى سبيله لا يحفل بغيره ، وذلك لبعد ما بين أعمالهم من تباين وخلاف ؛ أما النساء فبينهن عداوة غريزية فلا يسع الواحدة منهن إلا أن تضمر فى نفسها أشد المقت لغيرها من بنات جنسها . وعلة ذلك أنهن جميعاً قد خلقن لعمل واحد هو حفظ بقاء النوع ، فكان ذلك مدعاة للغيرة والكيد والتنافس ؛ فانظر مثلا إلى سيدتين تقابلتا فى الطريق كيف تنظر إحداهما الى الأخرى بعين كلها الغل والكراهية ؟ وإنه لما يبعثك على الضحك أن تستمع إلى امرأتين تتمارقان أو تتبادلان تحية اللقاء أو الوداع ، فلن ترى إلا سخفاً منشؤه أن التودد والتعاطف والمحبة ليست من طبيعة المرأة نحو المرأة ، وأن هذه العداوة الفطرية بينهن لتتضح لك فى جلاء إذا رأيت كيف تعامل المرأة الارستقراطية من هى دونها فى المنزلة الاجتماعية من النساء ؛ عندئذ ترى صلفاً أى صلف وغطرسة وكبرياء ، لماذا ؟ لأنها تشعر أن الفارق بينهما فى حقيقة الأمر جد ضئيل . أستغفر الله بل إنه لا فارق ألبتة بين امرأتين . فهذه تحفظ النوع بنسلها كما تحفظه تلك سواء بسواء ؛ ولعمرى أن الحياة لم تقصد بهن إلا هذا ، وهذا وحده . تشعر المرأة الأرستقراطية بانعدام الفارق فى الجوهر بينها وبين المرأة الوضيعة فتلجأ إلى الصناعة والتكلف تخلق بهما ما تريد هى أن يكون بين المرأتين من تفاضل ؛ أما الرجل فتراه على النقيض من ذلك : يعامل من دونه بالحسنى ، لأنه يعلم أن الطبيعة قد فرقت بينهما فى القوة والعمل ، فليس به لاظهار منزلته حاجة إلى الصلف والكبرياء

ولشد ما أعجب لهذا الاسم الذى يطلق على النساء جزافاً : (الجنس اللطيف) ؛ ولست أشك أن من أطلق هذا اللقب على ذلك الجنس الضئيل القصير الشائه ، هم أولئك الذين أفسدت غرائزهم الجنسية عقولهم . فجمال المرأة كله قائم على الغريزة الجنسية وحدها ، وإنه لأقرب الى الصواب أن نسمى النساء بالجنس الذى لا ذوق له ولا فن ، إذ ليس فى مقدورهن تقدير الجمال فى شئ

الفنون ، ولـكنهن كثيراً ما يغالطن في الحقائق فيدعين أنهن ذوات فن جميل ، بأن يعزفن على الآلات الموسيقية أو يعالجن التصوير ، ولـكن ذلك منهن كذب ورياء ، فهن لا يُشغفن إلا بما خلقن من أجله : حفظ النوع ... ... إن الرجل يجاهد في العلوم والفنون لتتم له السيطرة على الأشياء ، إما بفهمها أو بالتحكم فيها ، أما المرأة فهى بطبيعتها لا تحب أن تسيطر على الأشياء سيطرة مباشرة ، ولـكنها دائماً تقصد الى السيادة على الأشياء عن طريق سيادتها على الرجل ، فالرجل وحده هو ما تصبو المرأة الى التحكم فيه والسيطرة عليه — ومعنى ذلك بعبارة أخرى – أن المرأة ترى في كل شيء وسيلة فقط لغزو الرجل ، فاذا ما تظاهرت بميل الى الموسيقى أو الشعر مثلاً فليس ذلك ناشئاً عن رغبة طبيعية فيها نحو هذه الفنون ، إنما هى تتخذ منها أداة تتجمل بها لتروق في عين الرجل . وما أصدق روسو حين قال : « إن النساء بصفة عامة لا يحببن الفنون ولا يعرفنها ، ومحال أن يبلغن فيها حد النبوغ » وهل تريد دليلاً على نفورهن من الفنون الرفيعة أقطع من هذا الذى تراه في دور التمثيل ؟ أنظر اليهن كيف يواصلن الحديث في أتفه الكلام ، معرضات عما قد يكون على المسرح من أروع آيات الفن ! ولئن صدق ما يقال من أن الاغريق لم يسمحوا لنسائهم بمشاهدة تمثيل المآسى ، فوالله لقد أصابوا ... ثم استعرض التاريخ وحدثنى مَنْ من النساء قد أبدع في الفن آية فيها الأصالة والنبوغ ؟ ؟

ولقد شاءت الطبيعة للمرأة أن تثير في الرجل أحط جوانبه ، فهى لا تنفذ إلى الرجل من ناحية عقله وهو مظهر قوته وسيادته ولـكنها تأتيه من نواحى ضعفه وبجونه . فيجمل بالرجل أن يتخلص من ضعفها ما استطاع إلى ذلك سبيلا ، أما أن يكرمها ويرفع من قدرها فذلك ما أعجب له أشد العجب ! إن إكرامك المرأة واحترامك لها انحطاط لك في عينها ، لأنها تدرك بفطرتها أنها أحط من الرجل وأضعف . فلا يضعها في غير موضعها إلا الضعيف العاجز – المرأة يجب أن تكون أمَة فيجب ألا نمد بناتنا إلا لهذا مع تدريبهن على طاعة الرجل وقسرهن على الخضوع ؛ وفي ذلك يقول بيرون الشاعر الانجليزى «على النساء أن يمتعن بالمنزل ، وعلينا أن نحسن لهن في الطعام واللباس ، ولـكن لا يجوز لهن مخالطة المجتمع ، فان تعلمن شيئاً فليكن ذلك هو الدين ، على شريطة ألا يطالعن شعراً ولا سياسة ، وألا يقرأن إلا كتب العبادة والطبخ »

إن كل قانون للزواج يعامل المرأة على أساس مساواتها بالرجل باطل من أوله ، فاذا أراد القانون أن يسويها في الحقوق بالرجال فليعطها أولاً عقلاً كعقول الرجال ! ومع ذلك فتأبى سخرية القدر إلا أن تعانى المرأة نفسها ما وراء المساواة من وخيم العواقب ، لأنه كلما جارت القوانين على الرجل وأجحفت بسيادته الطبيعية على المرأة وطالبته بأن يقف منها موقف الند للند ، أعرض الرجل ونفر ، فليس من الهين عليه أن يقوم على مثل هذه التضحية وأن يطوح بما أوتيه من قوة وسيادة ، وبذلك الاعراض يزداد عدد النساء غير المتزوجات اللواتى قد يدفعهن الفقر والحاجة اما إلى عمل لا يتفق مع طبيعتهن ، وإما إلى السقوط في هاوية الفساد ، وعندئذ تكون الطامة الـكبرى . ويستطرد شوبنهور في استحسان تعدد الزوجات وفي وجوب عدم توريث المرأة مال زوجها لأنها مسرفة بطبعها ، وقد نشأ إسرافها من تعلق أطماعها بالأشياء المادية فتراها تبذل بغير حساب في تجملها وزينتها ، وهى في ذلك مخالفة للرجل الذى يتوجه بطموحه إلى نواح غير مادية كالعلم والشجاعة وما إليهما ، فهو يستنفد مجهوده فيما لا يحتاج إلى البذل والاسراف

يقول أرسطو في كتاب « السياسة » : إنه إذا سمح للمرأة بالزيادة من حقوقها كان ذلك نذيراً بزوال الدولة ودمارها ؛ وهو يستشهد على ذلك بأسبرطة . ولقد جاء التاريخ الحديث بأمثلة كثيرة تؤيد ما ذهب اليه ذلك الفيلسوف المظيم ، فزيادة نفوذ المرأة في فرنسا منذ عهد لويس الثالث عشر أدى الى تدهور الحكومة والبلاط ، وهذا بدوره أنتج الثورة الفرنسية الـكبرى وما أعقبها من ثورات

وشهد شاهد من أهلها

لقد عرضت على القراء آراء شوبنهور في المرأة بمناسبة ما قرأته في إحدى الصحف الانجليزية لسيدة تنكر على المرأة حقها في الحرية ، قائلة إن الحرية تستتبع التفكير والمسئولية وهما ضد طبائع المرأة التى خلقت لتستعبد لشخص ما : زوجها أو طفلها . وهى تؤيد قولها بأنصع الأدلة وأقوى الحجج ، وتروى لنا أنها كانت تحاضر في ناد نسوى فسألت الحاضرات : لو لم تكونى من بنات هذا القرن فأى زمن تخترن ؟ فأجابتها فتاة ذكية : كنت أحب أن أعيش في أى عصر لا يتطلب من المرأة التفكير ! !

زكى نجيب محمود

قصة المكروب

كيف كشفه رجاله

ترجمة الدكتور أحمد زكى

وكيل كلية العلوم

كوخ KOCH

رابع غزاة المكروب

وانتقل كوخ بزوجه ومتاع بيته الى برسلاوة ، وعُيّن فيها طبيبا للبلدية براتب قدره تسعون جنيها فى العام ، وكان قد افتُرِضَ عند تقدير هذا المرتب أن كوخ لا شك سيضاعفه أضعافا بما يكسبه من مرضاه ، وأن المرضى لاشك آتون إليه زرافات ووحدانا إذا شاع فى البلد أنه قد حلّ به مثل هذه العبقرية الفذّة . هكذا ظن الأستاذ كُون ، وهكذا ظن الأستاذ كُون هايم ؛ وفتح كوخ داره للناس ، فلم يقرع بابه طارق واحد . عندئذ تعلم كوخ أن من مساوئ الطبيب أن يكون فكّيرا يبحث فى علل الأشياء . وعاد أدراجه إلى قرية ڤُلِشتين عودة حزين بخُفيه ، وفيها ظل يتقى آثار المكروب ، ويتجسّس الجراثيم ، ويقتنص تلك الخلائق الدنيئة فى أجحارها ، تلك الوجودات المدمومات فى حكم البين ، التى تصل الى جروح الانسان والحيوان فتبثُّ فيها سمّا قاتلا . وظل يحرز فى هذا الميدان السبق بعد السبق من عام ١٨٧٨ إلى عام ١٨٨٠ ، وتعلّم أن يَصْبُغ كل نوع من أنواع البشلات صِبْغاتٍ مختلفات لتظهر صُفراها بَيّنة الجرم فيما حولها واضحة الحدود . واقتصد شيئا من المال ، ولا يدرى إلا الله كيف اقتصده ، واشترى كُرةً ربط عدستها بمكروسكوبه ، وتعلم وحده كيف يصوّر بها تلك الخلائق الصغيرة

قال كوخ : « ليس فى استطاعة المرء أن يقنع العالم بحقيقة هذه المكروبات حتى يريهم صُوَرا منها . وفوق هذا فالمجهر الواحد لا يستطيع النظر فيه اثنان فى آن ، وهما إذا نظرا استحال عليهما أن يَنْقلا عن المكروبة الواحدة صورةً واحدة ، وإذَنْ يكون خصام وانقسام . أما الصور الفوتوغرافية فلا تكذب ، ويستطيع العشرة من الرجال أن ينظروها معاً ، ويدرسوها سويّاً ، ويخرجوا منها على نتيجة واحدة لا سَبيل للخُلف فيها » على هذا النحو أراد كوخ أن يدخل فى هذا العلم الوليد شيئاً من النظام والانسجام مكان الهرجلة والتخليط ، وشيئاً من الموسيقى والنغم المتسق بعد النشوز الذى آذى الآذان ردحا طويلا من الزمان

وفى هذه الاثناء لم يغب عن بال أصدقائه ؛ ففى عام ١٨٨٠ لم يدر إلا والحكومة تدعوه الى الحضور الى برلين ليتعين بها زميلا فوق المادة لمصلحة الصحة الامبراطورية . وفى منصبه الجديد أعطت له السلطات معملا جميلا ، ووفرة كبيرة من الأجهزة لم يكن يحلم بها ، ومساعدين ، ومالا كافياً فيه غناءٌ عن طلب الرزق ، وتمكينٌ له من قضاء ست عشرة ساعة أو ثمانى عشرة فى اليوم الواحد بين صبغاته وأنابيبه وخنازيره الجينية

وفى هذا الوقت كانت اكتشافات كوخ شاعت فى معامل أوروبا جميعها ، وعبرت المحيط الأطلسى الى أمريكا ، فقام لها أطباؤها وقعدوا ، وتحمسوا لها ، وانتقدوا من جرائها انتقادا ؛ ودارت معركة حامية الوطيس واسعة النطاق حول نظرية الجراثيم وبلغت فى هذا الأوان أشدها . واتخذ كل طبيب وكل أستاذ فى علم الأمراض عرف المكرسكوب وخفاياه ، أو خال أنه عرفه وعرف خفاياه ، اتخذ عدته وعتاده ، وقام يتقى المكروبات يؤمل اصطياد جديد منها ؛ وأخذت تنجلى الأسابيع عن اكتشافات مزعومة فرح لها الناس عن جراثيم خال أصحابها أنها سبب السرطان أو السل أو التيفود . وصرخ صارخ منهم صرخة تردد صداها فى القارات الخمس زعم فيها أنه وجد مكروبا واسع الأثر يمطيك من الأمراض على هواك ، من التهاب الرئة الى زكمة الدجاج . وهدأت هذه الصرخة ، وتلاشت موجاتها فى الهواء ، لتتبعها أخرى من سخيف آخر يدعى أنه أثبت أن الداء الواحد كالسل مثلا قد تسببه مئات من أنواع مختلفات من المكروبات

ازداد تحمس القوم لفكرة الجراثيم ، وزاد تخليطهم فيها ، حتى خِيف على اكتشافات كوخ ذاتها أن يضحك الناس منها ضحكهم من هذه الخُزَعْبِلات التى ملأت الكتب والمجلات فى هذا السبيل ، وأن ينموها نسيانهم تلك الأباطيل

ولـكن قُدِّر لأعمال كوخ أن تحيا ؛ واليوم صيحة الأمم أقوى فى طلب زيادة فى المعامل ، وزيادة فى قنّاص المكروب ، وزيادة فى أجور البُحّاث الذين يعملون جهدهم فى دفع السوء عنا ، ولا سبيل الى التقدم إلا أن يبعث الله لنا رجالا ككوخ ذوى صدق وبصيرة

كان ما كان من هذا الحماس الجاهل المشئوم الذى لا يكون من نتيجته إلا القضاء على علم المكروب وهو وليد ناشىء . ولـكن كوخ حفظ اتزانه فى وسط هذه الجلبة الضارة ، وجلس فى هدوء وسكون يتعلم كيف يربى النوع الواحد من المكروب خالصاً من أخلاطه . قال : « أنا أومن بأن النوع الواحد من الجراثيم يسبب نوعاً واحداً من الأدواء ، وأن كل داء له جرثومته الخاصة » آمن بذلك قبل أن يُثبته ، فكأنما أُوحى اليه . قال : « ..... فلا بد لى أن أجد طريقة أكيدة يسيرة أكثّر بها الجنس الواحد من المكروب دون أن تختلط به الأجناس الأخرى التى هى دائماً حوله تحاول الدخول اليه خلسة واستراقا »

ولـكن كيف السبيل الى اقتناص جرثومة واحدة بادىء ذى بدء ؟ اخترع المخترعون عدة مكنات غريبة لفصل المكروبات ، ونصب آخرون منهم أجهزة مركبة معقدة ، طويلة لا شك أنهم من طولها وتعقد تركيبها نسوا بعد أن أتموها الغرض الذى من أجله نصبوها . وقام بحاث غير هؤلاء ، لا يبالون الموت ، فحقنوا المكروب الذى حقنوا فى جوسام قتال من الكيميائيات المطهرات ليقتلوا جراثيم الهواء التى تسبح فيه على ضلال كى لا تقع فى المكروب الذى يحقنون

— ٥ —

وذات يوم نظر كوخ الى فِلْقة من البطاطس المسلوق تُركت عفوا فى معمله ؛ نظر اليها اتفاقاً وأقر هو بذلك ؛ نظرها فوجدها قد تبقعت بعدة بقع ذات ألوان ، فهمس لنفسه قال : « هذه بقعة شقراء ، وهذه أخرى حمراء ، وهذه ثالثة بنفسجية ، ورابعة صفراء . لا بد أنها تكوّنت جميعاً من جراثيم الهواء » . وأخذ يحدق فيها من قريب لقصر نظره حتى كادت تمتزج بها لحيته الخفيفة ، وثمّ ينظف عدسات مجهره ويهيىء رقائق الزجاج . وأمسك بعود رقيق من معدن البلاتين فغمسه بخفة فى بقعة من البقع الشقراء ورفعه بشىء منها ؛ ثم وضع هذا الشىء القليل ، ومزاجه كالمخاط ، على رقيقة من تلك الرقائق الزجاجية ، ودافه بقطرة من الماء ، وحدق فيه من خلال المجهر فاذا جماعات البشلات تتهادى فى الماء عوماً ، وتشاكلت جميعها فلم يكن بها على كثرتها بشلة واحدة غريبة عن أخواتها . وأخذ من البقعة الصفراء ومن البنفسجية ومن الحمراء ، فوجد المكروب فى احداها مستديرا ، وفى الأخرى عصيا عائمة ، وفى الثالثة حلزونيات كالبريمات دبت فيها الحياة ؛ وليس فى هذا جديد ، إنما الجديد أن المكروبات فى البقعة الواحدة متشاكلات لا تختلف واحدة عن أختها

وفى سرعة البرق الخاطف تجلى لكوخ جمال هذه التجربة التى اصطنعتها له الطبيعة : « كل بقعة من هذه البقعات زريعة خالصة من نوع واحد من المكروبات ... الأمر واضح وتفسيره حاضر ! فالمكروبات عندما تقع من الهواء فى الأحسية السائلة التى نستخدمها ، وهى أنواع عدة ، تتكاثر جنباً لجنب ، وتعوم فتختلط فلا ينتج إلا مزيج من أخلاط عدة . أما اذا هى وقعت على سطح البطاطس ، وهو صلب ، لصقت وحداتها فى المكان الذى وقعت فيه ، فتكاثرت الواحدة حيث هى فصارت ألوفاً ، ولـكن من نوع واحد لا يختلف »

وكان يعين كوخ طبيبان فى الجيش ، يدعى أحدهما لُفلار Loeffler والآخر جفكى Gaffky فدعاهما كوخ فى هدوء وأطلعهما على ما وجد ، وأراهما مدى التغيير الذى سيطرأ على دراسة المكروب بسبب التفاته السانحة الى قطعة البطاطس المتروكة ، تقول التغيير ، وما كان إلا الثورة ! وبدأ الرجال الثلاثة يدرسون صحة ما خال كوخ بجد لاحد له ، وبدقة ألمانية إذا وصفها الفرنسى المتعصب سماها سخفاً . بدأ الثلاثة يعملون فكنت ترام صفاً واحدا على كراسيهم الثلاثة ، مكبين على مجاهرهم الثلاثة ينظرون فى ضوء ثلاث نوافذ وقد توسطهم كوخ . ثالوث أى ثالوث ! يبذلون الجهد الجاهد لا ليثبتوا الذى ظنوه ، بل ليكذبوه ، فاذا النتيجة تؤمن على الذى قاله كوخ وقالوه ، وكانت طريقتهم فى ذلك أنهم خلطوا من المكروبات نوعين أو ثلاثة ؛ فتكوّن منها مزيج تعجز الأحسية السائلة عن فصل أنواعه مهما طال زرعها فيها وتكثيرها ، ثم جاؤا بقطرة من هذا المزيج ونشروها نشرا واسعاً على سطح مستو لبطاطسة مسلوقة مشقوقة ؛ فاستقرت

المكروبات من هذا السطح على أبعاد غير متقاربة ، وتكاثرت المكروبة الواحدة حيث استقرت فخرج منها الملايين ولكن من نوعها ، ومن نوعها فحسب

بشق بطاطسة عتيقة استحدث كوخ طرائق جديدة لاقتناص المكروب ، وأرسى هذا العلم على قواعد صحيحة يطمئن اليها أولو الفكر اطمئنانهم الى سائر العلوم ، من بعد أن كان ظناً ورجماً بالغيب ؛ ثم أخذ كوخ يتجهز لاقتناص المكروبات التي تسبب عشرات الأمراض التي تفتك بالناس ، ولم يكن كوخ اتقى بعد من رجال العلم انتقادا يذكر ولا اعتراضاً كبيرا ، ذلك لأنه لم يفتح فمه إلا بعد أن كان يتم تأكده من نتائجه ، ثم لأنه كان اذا تحدث بعد ذلك عن اكتشافاته ذكرها في كثير من التواضع فتخاذل خصومه ونام الشر في قلوبهم ، وفوق هذا وهذا لأنه كان دائماً يصور لنفسه شتى الاعتراضات الممكنة ، والانتقادات الجائزة ، ويجيب عليها قبل اخراج عمله للناس

وامتلأ كوخ ثقة بنفسه ، فاعتزم أن يلاقي الأستاذ رودلف فرشو Rudolph Virchow ، وما أدراك من هو ؟ هو أشهر بحاث ألمانيا في أصول الأدواء ، وأكبر جهابذتها وأعلامها ؛ اذا حدثته في موضوعات شتى أراك فيها من العلم ما لا يريك عشرات العلماء ، ولو كان بعضهم لبعض ظهيرا . كان فرشو عمدة الطب الألماني ، درس تجبن اللحم وقال آخر كلمة تقال فيه ، واخترع ألفاظاً من أروع الألفاظ مثال المتروبيا وأجنيسيا والأكرونوسس وكثير غيرها مما يسهر طلاب الطب لياليهم في محاولة تفهمها ، ونظر بمكرسكوبه في ستة وعشرين ألف جثة ، ووصف فيها حال الأنسجة وقد غيرتها شتى الأمراض ، ونشر بلا مبالغة ألوفاً من الأبحاث في كل موضع يخطر بالبال ، من دراسة أشكال رؤوس الذكور من تلاميذ المدارس الألمانية ، وتفحص أصواتهم ، الى قياس الأوعية الدموية ، وقد بلغت الثانية في الصغر في أجسام بنات اخضرت وجوههن مرضاً واعتلالا

ذهب كوخ الى صاحب هذا الصيت الكبير وفي قلبه رعب ، فدخل الى حضرته على أطراف قدميه احتراماً وخشية أن يتحرك الهواء فيتزعج رب المكان

قال كوخ وهو مطرق : « سيدي الأستاذ ! لقد كشفت طريقة لتكثير النوع الواحد من المكروب خالصاً لا شائبة فيه »

فقال الأستاذ : « إذن فقل بالله كيف تصنع ، ففي ظني أن هذا لن يكون »

قال كوخ : « بتربيته على طعام جامد . نعم أستطيع أن أولد منه على قطعة من البطاطس مستعمرات لا يسكنها غير نوع واحد منه . . . . فبدل البطاطس أذيب الآن الجلاتين في حساء من لحم البقر ، فاذا برد انعقدا جميعاً وصار لمزيجهما سطح جامد ، وعندئذ . . . . . . »

لم يتحرك فرشو لهذا الكلام ؛ ولما نطق قال في استهزاء الحاقد : « إن منع المكروب من أن تختلط أنواعه عسير جداً ، إلا إذا شاء كوخ أن يبني لكل نوع معملا خاصاً .. » واختصاراً لم يجد كوخ عند صاحبنا غير البرود والتثبيط ؛ ولا عجب ، فالرجل كان قد بلغ من الشيخوخة تلك السن التي عندها يعتقد الرجال أن كل شيء عُرف ، فلم يبق في الدنيا ما يُكتشف ؛ وتولى عنه كوخ وفي نفسه شيء من الكآبة ، ولكن عزيمته لم تهن ، ولم يفعل ما كان غيره فاعله ، فلم يجادل فرشو في الذي كان ، ولا كتب المقالات ، ولا خطب الخطب في النيل منه ، ولكنه اتجه بكل ما فيه من حول الى بحث هو أبدع بحوثه ، الى تقفي أثر أخبث مكروب عرف ، الى كشف ذلك القتال الخفي الذي سبق المكروبات جميعها في حصد أنفس الرجال والنساء والأطفال ، فتقاضى روحاً من كل سبع صمدت الى ربها . شمر كوخ عن ساعديه ، ومسح نظارته ، وبدأ رحلته الكبرى لاقتناص جرثومة السل المروع

(يتبع) أحمد زكي

في طريق المدينة *

للأستاذ علي الطنطاوي

أفاق سحراً — ولا يبدو السحر على أتمه إلا في البادية، فلا ليل في الجلال كليلها، ولا صبح في الجمال كصبحها، ولا نهار في الشدة كنهارها — فجلس ينظر الى هذه الصحراء التي تمتد من حوله؛ يذيب أولها في بياض الفجر المقبل، وآخرها في سواد الليل المدبر، وهي ساكنة سكون الموت، واسعة سعة السماء، فأحس في نفسه بشيء لم يحس به قط؛ فقال: لا إله إلا الله! لخرجت من أعماق قلبه ... وأي امرىء تلقيه الأيام في البادية، فيرى ليلها ونهارها، وشمسها ورمالها، ثم لا يكون أشد الناس بالله إيماناً، وعليه اتكالا؟ وهو يرى أبداً من جلال المخلوق ما يخشع منه قلبه لجلال الخالق؛ وهو يعلم أنه ليس بينه وبين أن يموت عطشاً، أو يهلك جوعاً، إلا أن يحيد عن طريقه ذراعاً، أو ينحرف عن وجهته شبراً ... وكيف يكفر بالذي لا يرجو النجاة إلا منه، ولا قوة إلا به، وليس له من يدعوه إلا إياه؟

وكانت تلك صبيحة اليوم السابع عشر من أيام البادية، فطفق يذكر هذه الأيام، وينظر ما أفاده فيها، فاذا هو قد عرف من خبر العرب، في سبعة عشر يوماً، ما لم يعرفه في سبع عشرة سنة، يقرأ فيها أسفار العرب، ويتلو أشعار العرب، ويدرس لغة العرب، وتاريخ العرب، وإذا هو قد سافر ألفاً وثلثمائة سنة في الزمان، لا ألفاً وثلثمائة كيلو على الأرض؛ وسلك الطريق التي سلكها الغزاة الأولون، فعلم أن سر قوة العربي الأول الذي عمل ما لم تعمله الجن، ولا تقوى عليه المردة، حتى بني للحضارة هذا الصرح العظيم، فأوت اليه، وتفيأت ظلاله، وإن سر عجز العربي الأخير، حتى نام عن هذا الصرح، وأباح العدو حماه، إنما هو (بعد الاسلام) هذه الصحراء

هذه الصحراء التي لا يعيش فيها الجبان العاجز، لأن الحياة فيها بين عيني الأسد، لا ينالها إلا شجاع مقدام، أخو غمرات، صبار على النكبات، ضحاك في الملمات، وإلا ابن الشمس، صديق الرمال، حليف الجوع والعطش، ذو إرادة لا تنثني، وهمة لا تطاول، وعزيمة لا تفل.

ولا يعيش فيها المريض، لأنها لم تخلق مستشفى للمرضى، ولكنها خلقت ميداناً للأبطال، وأنى يأتي البدوي المرض، مادام لا يؤتى من قبل معدته (والمعدة بيت الداء)، ومادام كل طعامه التمر والسمن واللحم والأقط، وكل شرابه اللبن والماء، فاذا مرض يشرب قارورة من شعاع الشمس، وشمس الصحراء أنفع من مجموع صيدليات باريز! فاذا لم تجده نفعاً، أجداه الكي، وما بعد الكي إلا حياة كاملة أو موت كامل، هو خير على كل حال من حياة ناقصة ... وقدماً قالوا آخر الطب الكي!

ولا يعيش فيها الفقير، لأن أهلها كلهم أغنياء ... وهل الغنى إلا أن تنال كل ما تطلب؟ وهل يطلب البدوي إلا ماء له وكلأ لمواشيه؟ فاذا أمحلت الدار أم غيرها:

وفي الأرض منأى للكريم عن الأذى
وفيها لمن خاف القلى متحول

ولا يعيش فيها المنافق المتملق الخداع، الذي يلبس جلد الحمل على جلد الذئب ... لأن الصحراء منبسطة مستوية متكشفة، ظاهرها كباطنها، وليس فيها سقوف ولا جدران، ولا مغارات ولا سراديب، وكذلك نفس العربي ما في قلبه على لسانه؛ فان عاداك فعداوة الشريف، يستقبلك بالشر ولا يستدرك به؛ ويحمل إليك الموت على شفرة السيف، لا يقدمه في كأس من الذهب، قد خالط فيها السم بالدسم؛ وإن صافاك آخاك، فأخوة الشريف يفديك بنفسه وماله، ولا يرغب عنك حتى ترغب عنه، وإذا أنت أنكرت من العرب جفاء في الطبع، أو خشونة في القال، فلن تنكر منهم عوضُ تلوّناً ولا تملقاً، ولا تنكر منهم لين الحية ولا لطف المستعمر ... على أن الجفاء ليس من شأن العرب، ولا هو في جميعهم، وإن فيهم لطفاً، وإن فيهم لظرفاً، وإن لهم لأحلاما ...

* * *

وطفق يذكر كيف كان يتبرم بهذه الأشعار التي تندب الديار وتبكي الأطلال، ويستثقلها ويراها كأنها الدمى فيها جمال وليس

---

* أنظر مقالة (في طريق المدينة) في العدد ٩٧ من الرسالة

فيها روح ؛ فلما كانت أوّل ليلة قضاها وأصحابه في البادية ، وحطّ الركب في قاع الدغيلة [1] فوقفت السيارات الخمس ، ووضعت الأحمال ، ونصبت الخيام ، وأوقدت النيران ، ورفعت القدور ، وبسطت البسط ، ومدّت الفرش ، وكمل المجلس حتى قام المذياع (الراديو) يسمعهم بين الشّيح والقيصوم ، أغاني عبد الوهاب وأم كلثوم

ف ... باتوا بأنعم ليلة حتى بدا صبح تلوّح كالأغرّ الأشقر

فنادى منادى الرحيل ؛ فما هي حتى طويت الخيام ، ولفّت البسط ، وشدّت الأحمال ، فاذا كل شيء كأنه حلم ، أو كأنه صفحة طويت ، ولم يبق إلا النؤى المهدم ، وإلاّ موقد النار ، فامتلأت نفسه حزناً ، وانطلق لسانه يترجم عن أصدق عاطفة ، وأعمق شعور ، بكلمة النابغة التي استثقلها ، وعدّها من القول المعاد ، والكلام الفارغ :

عوجوا لخيرا لنعم دمنة الدار . . .

وانطلق يقف اخوانه لحظة ، يحيّ فيها هذه البقعة التي ترك فيها ليلة من حياته ، وطائفة من ذكرياته ، وقطعة من نفسه ؛ ثم عاد فسخر منهم كيف يقفون على أحجار قد سوّدتها النار ، وحفرة حفروها من حول الخيمة خشية الأمطار . .

ماذا تحيوّن من نؤى وأحجار ؟

ويجد القاع بعد أن تقوّضت الخيام ، وطويت البسط ، وضاع المكان الذي سوّاه لنومه ، وأعدّه لجلوسه

أقوى وأقفر من نعم وغيّره هوج الرياح بهابي الترب موّار

ويطول به الوقوف ، وأصحابه يستحثّونه ، والسيارات (تصرخ) مستعجلة ، فيمشي وهو يفكر في هذا القاع . هل يحفظ هذه الذكريات ؟ ويسأل هذا القاع : هل يذكر أبداً هذه الليلة التي قضاها فيه ، والعواطف التي استودعه إياها ؟ فلا يسمع مجيباً ، ولا يجد إلا أحجار الموقد ، وإلا هذا الثمام الضعيف اللّين ، الذي جمعوا منه فأوقدوا به النار ، واتخذوه فراشاً ، فينشد قول النابغة :

وقفت فيها سراة اليوم أسألها عن آل نعم أموناً عبر أسفار

فاستعجمت دار نعم ما تكلمنا والدار لو كلمتنا ذات أخبار

فما وجدت بها شيئاً ألوذ به إلا الثّمام وإلا موقد النار

وتعدو به السيارة عدو الظليم ، وهو لاهٍ عما حوله ، يتمثل الشاعر وقد عمّ الديار ، فلم يجد بها سائلاً ولا مجيباً :

ناديت : أين أحبّتي ؟ فأجبت : أين أحبّتي ؟ !

فبرّح به الشوق ، واشتملت في صدره النار ، وكواه الهجر ، فذهب يذكر نعماً ، وقد كان يسارها حتى ينأى بها عن الحيّ ، ثم يجلسان حتى تغيب الشمس ، ويلفهما الظلام برداء الأمن من الرقباء ، ويسبغ عليهما نعمة الحبّ ، فلا يكون بينهما إلا كل خير : يبثها حبّه ، فتشكو له حبّها ، ويكشف لها عن قلبه ، فتكشف له عن قلبها ، ولا يخفى عنها شيئاً ، ولا تكتمه شيئاً :

وقد أراني ونعماً لاهيين بها والدهر والعيش لم يهمم بإمرار

أيام تخبرني نعم ، وأخبرهـــا ما أكتم الناس من حاجي وأسراري

* * *

وجعل يذكر كيف فهم في تلك الساعة قصيدة النابغة ، ونفذ إلى روحها ، وقد كان يتلوها ، ويدرّسها ، ويشرحها ، فلا يفهم منها إلا كلماتها وجملها ، وعروضها وإعرابها ؛ وجعل يذكر ما حفظ من أشعار الديار ، فيبصر فيه جمالاً لم يبصره من قبل ، فيعلم أنه قد كان منه في ليل مظلم ، لا يرى فيه إلا سواداً فطلعت تلك الساعة بدراً ، أراه أن وراء الظلام دنيا واسعة ، وفتنة وجمالاً ، وروضة وأنهاراً ...

وجعل يذكر كيف كان يقرأ أمثال العرب فلا يفهم من قولهم : (أن ترد الماء بماء أكيس) إلاّ أن ذلك أحزم ، فلما خرجوا من القاع وأقبلوا على ماء الهزيم الذي طالما وصفوه لهم وحببوه اليهم ، وجده بئراً منتنة خبيثة ، تقتل من يشمها ، فكيف عن يشرب منها ؟ فعلم أن معنى أكيس : أنك لاتشرب ماء خبيثاً فتمرض !

فلما وردوا ماء الفجر ، بعد مسيرة يومين في الشعب لم تسر السيارة فيهما كيلين متتابعين على أرض كالأرض ، ولكنها كانت

(١) بعد الأزرق قرب الحدود بين شرق الأردن والحجاز ، وقد قضينا فيه ليلة الثلاثاء في ٢ ابريل سنة ١٩٣٥ في رحلتنا الى الحجاز

نظرية النسبية الخصوصية

بقية البحث الأول

الزمان ونسبيته

للدكتور اسماعيل احمد أدهم

عضو أكاديمية العلوم الروسية

— ٣ —

علل هذه الظاهرة فتزجرالد[1] بقوله إن المتحركات تتقلص في اتجاه سرعتها ، فالأرض تتقلص في اتجاه سرعتها بقدر الفرق النظرى بين رحلتى الشعاعتين بحيث تعودان كما هما عمليا في وقت واحد . وقام العلامة لورانتز الهولندى فاستخرج مقدار هذا التقلص في عملية رياضية دقيقة

لو رمزنا بالرمز « م » لمسافة رحلة الشعاعة « ص١ » ، وبالرمز « م٢ » لرحلة الشعاعة « ص٢ » ، وبالرمز « ص » لسرعة الضوء ، وبالرمز « س » لسرعة الأرض ، لكان :

(1) Y. Filzgerald: Annalen der Physik., Leipzig p. 137 (1907).

$$م = \frac{م_2}{\sqrt{1 - \frac{س^2}{ص^2}}}$$ .... « معادلة ٤ »

وهذا معناه تقلص الأرض حتى تصير بمقدار :

$$\frac{1}{\sqrt{1 - \frac{س^2}{ص^2}}}$$

وبذلك تقرر استحالة استخراج الحركة المطلقة للمتحرك ، وبذا صار من المحال معرفة التواقت

— ٤ —

لابدّ من فاصلة[1] زمانية لمعرفة سرعة الضوء ؛ هذا إلى أن معنى الزمان قائم على معرفة سرعة انتشار النور . هذا التضاد استخدمه العلامة ألبرت اينشتين في سبيل استخلاص مبادئه الأولى في النسبية الخصوصية

لنفرض كوناً مثل « ل » به نقطة مثل « ا » ثابتة ، وبهذه النقطة راصد ومعه ساعة ؛ ولنفرض أن هذا الراصد يعين حدوث الحادثات في كونه بموجب زمن الساعة التي يحملها ، ولكنه بلا شك يفشل في تعيين زمان الحادثات عينها بالنسبة لنقطة ثابتة في كون آخر يتحرك حركة انتقالية ازاءه ؛ مالم يوحّد سير ساعته مع سير ساعة الراصد القائم في الكون الآخر

وتوحيد سير الساعتين لا يقوم إلا على اشارة ضوئية ؛ والضوء كما قلنا سرعته واحدة في كل الجهات ؛ ومعنى هذا أن الفترة التي تستغرقها شعاعة الضوء لقطع المسافة من الكون الأول الى الثاني هي عين الفترة التي تستغرقها للعودة من الكون الثاني الى الأول

هكذا يتحول معنى المسافة الممتدة بين النقطتين « ا » في الكون الأول ، و« ب » في الكون الثاني من امتداد الأجسام الصلبة إلى أمواج النور ، أعني أنها تتحول من خط امتداد الأجسام الصلبة الى المسافة التي تقطعها أمواج النور في آماد متساوية

(1) Albert Einstein and M. Grossmann "Kosavazeignschaften der feldgleichungen der Gravetatioustheorie" L. M. Physik 6-3-1941 P. 215

تعلو صخرة ، أو تهبط حفرة ، أو تغوص في رملة ، لما وردوا الماء وجدوه جافاً ، فعلم أن معنى أكيس : أنك تبقى بلا ماء تموت

***

ثم نظر فرأى الفجر قد انبثق ، فأيقظ المؤذن ، وكان قوى الحنجرة حسن الصوت ، فأذن فزلزل البادية بـ « الله أكبر » فلما قال « أشهد أن محمداً رسول الله » ، لم يتمالك صاحبنا نفسه أن تضطرب وقلبه أن يخفق ، وعينه أن تدمع :

هذا آخر يوم من أيام البادية . لم يبق بيننا وبين المدينة إلا نصف مرحلة ... فهل يكتب لنا أن ندخل من باب السلام ونقوم أمام الحجرة ونسلم على رسول الله صلى الله عليه وسلم ؟ ...

علي الطنطاوي

هذا التبدل يؤدى الى تغيير موضوع الهندسة الأوقليدية ، إذ تتحول الأشكال والخطوط الأوقليدية التى ترسمها الأجسام الصلبة فى تحركها الى الأشكال والخطوط الاينشتينيّة التى يرسمها سير أمواج الضوء

— ٥ —

لقد وجع اينشتين بعالم الحادثات الى الهندسة . ومن المعلوم أن هنالك ضربين من الرياضيات : ضربا ذهنيا محضا ، وضربا حسيا . فالضرب الأول هو الذى تقوم عليه مبادئ الرياضة ، وخاصة التحليلية منها ، والضرب الثانى يتفق والأول فى الماهية الرياضية ، إلا أنه يختلف فى كونه راجعاً الى الحس والتجربة . والمدرسة الأكسيوماتيكية تجد فى مكان الرياضة المحض مكانَ المنطق الصورى والذهن الخالص

على هذا الأساس لومضينا ندقق موضوع الهندسة الأوقليدية لألفيناها هندسة ترجع لخواص الأجسام الصلبة وعلاقاتها ببعض ، فهى ضرب من الهندسة التجريبية ، وبذا تعد ضرباً من الطبيعيات . والهندسة الأوقليدية ليست قضاياها منطقية تحليلية فحسب ، بل هى تنطوى على أحكام تجريبية مستمدة من الاختبار والمشاهدة ، وبذلك كانت بعيدة عن ساحة الهندسة الصرفة

وهنا يتبادر الى الذهن سؤال من حول الهندسة الأوقليدية وعمليّتها بمعنى : هل هى تلتئم من حول حوادث هذا العالم ؟ وللاجابة على هـذا السؤال نلجأ للتجربة ، فهى الأداة العلمية الوحيدة التى تمكننا من الاجابة على هـذا السؤال ، فان قياس أى طول فى علم الطبيعة يرجع لمبدأ انتشار النور فى خطوط مستقيمة ، وبذا نلفى الأطوال ترجع إلى ضرب من الرياضة التجريبية ؛ وهذه الحقيقة نخرج منها بنتيجة هامة . فالنقطة والخط .... ؛ ليس من المهم أن نقول إن معرفتنا بها عقلية ، لأننا فى الحقيقة نفرض صحة بعض المبادئ ، ومن حول هذا الفرض تقيم هندستنا الصورية التى لا ترجع معرفتنا بمبادئها الى التجربة ؛ إذ هى مبادئ أوجدها العقل الانسانى وصرح بامكانها . غير أنه من المهم أن نقول إننا بارجاعنا الهندسة إلى مبدأ انتشار الضوء نقرر ضمناً ارجاع الهندسة الى الطبيعيات الحديثة أو العكس ، ويكون مقدار ما فى الهندسة من الصواب بمقدار ما فيها من المرونة للالتئام من حول حقائق العالم الخارجى ، وهكذا نرى الهندسة الأوقليدية تنهار حيث لا تتفق ومبدأ انتشار النور [1]

— ٦ —

« موضوع النسبية الخصوصية : تقوم على أساس أولى فى تحويل موضوع الهندسة من الأشكال التى ترسمها الأجسام الصلبة اللامتغيرة الى الأشكال التى ترسمها الأمواج النورية الثابتة » برتراند رسل

لنفرض ساعة فى نقطة مثل « ا » حيث صدرت منها شعاعة نور فى الآونة « ا١ » الى النقطة «ب» فوصلتها فى الآونة « ب١ » ثم رجعت الى « ا » فى الآونة « ا٢ » فتكون :

«ب١» — «ا١» = «ا٢» — «ب١» أو أن :

«ب١» = («ا١» + «ا٢») / ٢

بمعنى أن الساعة التى فى « ا » تكون متساوية فى سيرها مع الساعة التى فى « ب » ويكون اعلان الساعتين للزمان واحدا . فلو أردنا أن نعين زمان الساعتين فى وقت واحد فما علينا إلا أن نرسل إشارة نورية بزمان النقطة « ا » إلى «ب» فتضبط استناداً عليها نقطة « ب » زمانها . وعليه تكون النقطتان متوافقتين فى زمانهما ، وهنا يوحى التواقت إلى الذهن فكرة أن الزمان ليس أكثر من مجرد الفواصل التعاقبية للحادثات [2]

— ٧ —

ما معنى التواقت ؟

حدثت حادثة مثل « ح » فى « ا » وحادثة أخرى مثل « ح١ » فى « ب » ؛ فما معنى تواقتهما ؟

---

(1) Albert Einstein : Geometry and Experience, 1935 P. 35-73

(٢) (إن تعاقب الحادثات فى النفس يكون فى الذات مفهوم الزمان الذاتى ، ويقابله فى الخارج الزمان الموضوعى الذى لا يخرج عن كونه تعاقبات الحادثات الكونية . فلو تصورنا مجموعة من الحوادث النهائية وهى تطارق الوعى ؛ فهى بطبيعتها ستتبع حالة تعاقبية فى طرقها ؛ وحيث أن موضوع الذهن واحد لا يتغير ، فوصول حادثة قبل أخرى أو بعدها أو معها توجد علاقة ذهنية فى العقل تحدد مفهوم الزمن الذهنى ، بينما هذه العلاقة تحدد فى الخارج بمعنى تقديرى رياضى للحادثات تنزل منه منزلة الزمن الذاتى من الذات ، ولولا الحركة لما كان للزمن من مفهوم ، فتعاقب الحوادث بأسلوب نهائى يعرض على الذهن مع الحادثات ذاتها يشكل موضوع الزمان ، والتعاقب يجرى فى خط واحد فيتحد مع خطوط المكان الثلاثة فيكون الحدود الأربعة للمادة) ص ١٣٢ من كتابنا الشواهد المباشرة للوجود ، طبعة ميلان — لندن ١٩٣٤

للاجابة على هذا السؤال نفرض أن الحادثة « ح١ » حدثت في الزمن « أ٢ » كما أن الحادثة « ح » حدثت في الزمن « أ١ » ، فلو كان سير ساعة النقطة « أ » هو سير ساعة النقطة « ب » ، وما تمثله الساعة الأولى من الوقت هو ما تمثله الساعة الثانية فالحادثتان متواقتتان

على هذا الأساس يمكننا أن نعرف الزمان إستناداً على إشارات الساعات ؛ ولكن لنا أن نتساءل : هل يصح القول بتواقت حادثتين حدثت إحداها في كون مستقل عن الآخر وهما يتحركان بالنسبة لبعض حركة انتقالية ؟

للاجابة على هذا السؤال نرجع لمثالنا السابق فندقق فيه النظر فنرى أن ساعات كل كون يمكن أن تتساوى في سيرها مع آخر ، وعليه يمكننا تعيين زمان حدوث أية حادثة بأية ساعة في هذا الكون لانتشار النور خلاله بسرعة ثابتة ؛ أما في أكوان متعددة تتحرك بالنسبة لبعضها حركات انتقالية كما هو جار في العالم الخارجي فلا يمكن القول بالتواقت لانعدام واسطة استخراج الحركة المطلقة . ولبيان هذا نفرض خطاً يمتد من النقطة « م » إلى « م١ » طوله ٩٠٠٠ وحدة طولية ، وأن هنالك شعاعاً من النور يقطع هذا الخط من اتجاه « م » إلى « م » بسرعة ٣٠٠ وحدة طولية في الساعة ، ولنفرض كذلك طيارة بها راصد تتحرك من جهة « م » إلى « م١ » مع شعاع النور بسرعة ٧٥ وحدة طولية في الساعة ؛ ولنرمز للراصد الذي بداخل الطيارة بالرمز « ص١ » ، ولنفرض أن في منتصف المسافة بين « م » و« م١ » على بعد ٤٥٠٠ وحدة طولية من كل من النقطتين يقوم راصد مثل « ص٢ » في النقطة « ۞ » ومعه جهاز كهربائي يمتد طرفاه إلى نهاية الخط من الجهتين ، وبكل طرف مصباح كهربائي يبين بإشارة نورية تأتيه من الجهاز الكهربائي الذي مع الراصد « ص٢ » وبالطبع ستتلاقى الشعاعتان معاً عند « ص٢ » في آونة واحدة

لنفرض أن الراصد « ص٢ » ضغط على جهازه الكهربائي فصدرت منه إشارتان كهربائيتان إلى النقطتين « م » و « م » حينما سارت الطيارة براصدها « ص١ » أمامه تماماً . فهل تبدو الشعاعتان الواردتان من المصباحين متواقتتين لكل من الراصدين « ص١ » و « ص٢ » لأن كلا منهما في منتصف المسافة بين « م » و « م١ » حينما ضغط « ص٢ » على الجهاز الكهربائي الذي معه ؟

إن الاشارة الكهربائية ستقطع المسافة من « ۞ » إلى كل من النقطتين « م » و « م١ » في ١٥ ساعة « $\frac{٩٠٠٠}{٢} \times \frac{١}{٣٠٠}$ » وستقطع الوجهة النورية الصادرة من المصباح الذي في « م » المسافة من « م — ۞ » ومن « م١ — ۞ » في نفس المدة . فبعد ثلاثين ساعة يشاهد الراصد « ص٢ » الشعاعتين قد وصلتا أمامه في « ۞ » في آونة واحدة . هاتان الحادثتان متواقتتان للراصد « ص٢ » ، ولكن هل هما متواقتتان بالنسبة للراصد « ص١ » ؟

لا . لأن الراصد «ص١» يكون قد غادر النقطة « ۞ » عندما ضغط « ص٢ » على الجهاز ، فيأخذ في الاقتراب من نقطة « م » بمعدل ٧٥ وحدة طولية في الساعة ، وحينما تتلاقى الشعاعتان عند « ص٢ » يكون هو قد قطع ٢٢٥٠ وحدة طولية ، ويستقبل الشعاعة الواردة من النقطة « م١ » قبلما تصل إلى « ۞ » ، فعنده تجرى حادثة وقوع شعاعة « م١ » قبل أن تجرى حادثة وقوع شعاعة « م » ؛ أعني أن الحادثتين غير متواقتتين عنده . ونستنتج من هذا أن التواقت نسبي حسب الشاهد وكذلك الزمان

— ٨ —

إن التواقت نسبي في أكوان تتحرك بالنسبة لبعضها حركة انتقالية كما هو حاصل في عالمنا هذا . ويصح التواقت بين حوادث كون ساكن ؛ أما في أكوان متحركة فلا يصح القول بالتواقت حتى ولو وصلت الحادثات إلى الشاهد متواقتة في وقوعها ، إذ يلزم أن تكون الحوادث في وضعها متواقتة ؛ ولما كان السبيل إلى ذلك قائماً على معرفة الحركة المطلقة للأكوان ، وكانت الحركة المطلقة مستحيلاً استخراجها ، كان القول بالتواقت المطلق لغواً ، وكان لكل حادثة زمان خاص نسبي لها حسب الشاهد ؛ كذلك يكون التواقت نسبياً حسب الشاهد ، فما هو متواقت عندك يكون غير متواقت عند غيرك

من هنا نخرج بأن الزمان نسبي ، وأن التواقت نسبي ، وأن زمان كل حادثة نسبي لشاهدها

(تم البحث الأول)

اسماعيل أحمد أدهم

في الأدب الأمريكي

مارك توين

[بمناسبة انقضاء مائة سنة على ميلاده]

— ١ —

في يوم السبت الماضي ٣٠ من شهر نوفمبر سـنة ١٩٣٥ احتفل الأدباء في أغلب أقطار الأرض بانقضاء مائة عام على مولد الكاتب العبقري الأمريكي الفكه مارك توين . ومَن من الناس لا يحيي ذكرى مؤلف : (مخاطرات توم ساوير) ، و (هيكلبيري فين) ، و (الأمير والشحاذ) وغيرها من القصص التي استهوت قلوب الصغار لفكاهتها وطرافتها ، وعقول الكبار لحكمتها وبلاغتها ؟ إن الذين قرأوا مارك توين قد علموا بعض العلم عن الرجل ، لأنه إنما يتحدث في الغالب عن نفسه أو عن ذويه في قصصه ؛ وقد روى ذكريات طفولته في تلك المخاطر التي عزاها إلى أولئك الأطفال الذين عاشوا على ضفاف (المسيسبي) ؛ وليست العمة الشهيرة (بولى) في قصته (توم ساوير) إلا أمه . ولعلنا نستطيع أن نزيد في هذا العلم شيئاً بحكاية تاريخ حياته الضاحكة الباكية المملوءة بالمخاطر والأحداث والطرف ، فإنها في ذاتها لا تقل امتاعاً للقارئ عن سائر كتبه

* * *

في ٣٠ نوفمبر سنة ١٨٣٥ ، وفي قرية (فلوريدا) بولاية (ميسوري) ازدادت أسرة المحامي (جون كليمانس) واحداً بولادة طفل خامس سموه (صمويل) ، ثم صار بعد حين من الدهر (مارك توين) ؛ وكان يؤكد أنه لم يكد يولد حتى وجد له محلا بين عظماء الناس ، لأن ولادته زادت في عدد قريته واحداً في المائة ، إذ كان تعداد سكانها مائة بالضبط

وفي سنة ١٨٣٩ عين أبوه العابس القاسي قاضياً في (هانيبال) على شواطئ المسيسبي فلحقت به أسرته ، وهناك قضى صمويل شطراً من طفولته . وكانت الطباع في ذلك البلد شرسة ، والأخلاق منحلة ؛ فالمقامرة والمعاقرة والعراك والقتل أمور مألوفة وحوادث فاشية ، وصمويل قد شهد بنفسه أربع حوادث من حوادث القتل ، وقد اختزن في ذاكرته جملة من مشاهد هذه الحياة وصفها في مؤلفاته . وكان في هانيبال عدد وفير من العبيد ؛ وكان لأسرة كليمانس منهم ثلاثة أعبد جاءت بهم أم صمويل مهراً لأبيه . وكان هؤلاء المساكين يحبون صمويل حباً جماً لرقته وعطفه ؛ ولهم من ذكرياته في مؤلفاته حظ عظيم

كان صمويل في المدرسة شديد الكسل رديء العمل ، يؤثر على درسه وكتبه الاجتماع بطغمة من رفاقه الأشرار الذين أتى وإياهم من المنكرات والسيئات ما قرأناه بعدُ في قصصه . وقد يئست أمه من صلاح أمره ؛ وكانت سيدة جميلة ذكية متسلطة تؤثره وترعاه ، ولها عليه سلطان قوي مدى عمرها الطويل إلا في الجانب الذي يتعلق بدراسته . كان تقويمه من طريق الاقناع عبثاً ، فعمدت أمه الى تقويمه بالضرب والأذى ؛ وفي ذات يوم قالت له وهي تضربه : صدقني يا بني أني حين أضربك أتألم بشدة ، فأجابها بقوله : هذا ممكن ، ولكنك تألمين في غير الموضع الذي أتألم منه . وهذا الجواب الذي صار مثلا يشهد هو وغيره أن صمويل كان حاضر البديهة سريع الجواب

* * *

كان من عادة مارك توين أن يقول : « إن السيد الحقيقي للانسان هو المصادفة » . وذلك قول صحيح بالنسبة له ، فإن المصادفات الطارئات والظروف المفاجآت كثيرا ما غيرت مجرى حياته . فقد كان صمويل لا يزال على مقاعد الدرس حين فجعه الموت في أبيه ، فاضطرت أمه أن تخرجه من المدرسة وتجعله (صبياً) عند صاحب جريدة (هانيبال كوريه) يعمل له من غير أجر إلا الطعام والمأوى ؛ ولكن الجراية كانت واأسفاه قليلة لا تسد رمقه . ولما أصدر أخوه الأكبر (جريدة هانيبال) في سنة ١٨٥٠ ضمه اليه وعمره يومئذ لا يزيد على خمس عشرة سنة ؛ ولكن النجاح لم يكن على قدر الأمل فقل عدد الموظفين واضطر صمويل الى أن يجمع بين صف الحروف وبين ترتيب المواد ، وأن يجوب بعد ذلك شوارع المدينة للتحصيل ، فيعود مملوء اليدين بالجيوب لأن أغلب المشتركين كانوا يؤدون قيمة اشتراكاتهم عيناً . كان العمل كثيراً ، ولكن صمويل مع ذلك

كان يجد الفراغ لكتابة مقالة أو أقصوصة تظهر فيها دلائل قريحته الفكهة المنتظرة؛ وكان ينتهز الفرصة فى غياب أخيه لبعض أعماله، فينشر فى الجريدة ما يكتب؛ وكان أكثر ما يطرق من الموضوعات التعليق اللاذع على الحوادث المحلية، فيؤنبه على ذلك أخوه؛ ولكن الجمهور كان شديد الاعجاب بها، وأكثر القراء كانوا لا يشترون الجريدة إلا ليقرأوها

وفى ذات يوم رأى فى غيبة أخيه أن يلهو مع القراء فنشر أقصوصة عن صحافى أمريكى مدع كان مولعاً بالأسفار، فوقع فى بعض رحلاته فى أواسط أفريقية أسيراً فى قبيلة تأكل لحوم البشر، فكان مصيره الأليم لا شك فيه، إلا أن شيخ القبيلة أراد أن يستجوبه طويلا عن حرفته، وعن الغاية المقصودة من رحلته، فلما سأله فى ذلك أجابه المسكين وعيناه الزائغتان تنظران الى معدات الوليمة: أنا لست إلا صحافياً متواضعاً يا مولاى العظيم. فقال له الشيخ: صحافى؟ تريد أن تقول انك مدير جريدة؟ فأجابه: أوه! كلا يا مولاى القادر ما أنا إلا وكيل حقير، فقال له اطمئن ايها الرجل الأبيض! سترقى بعد أن نصنع منك الحساء الى مدير!!

كانت هذه النوادر المضحكة تستهوى ألباب القراء، ولكن أخاه (أوريون كليمانس) كان لا يجد لها مذاقاً ويرجو منه ألا يستمر فيها. على أن صمويل لم يحرص على البقاء فى الجريدة، فقد كان نزوعاً بطبيعته الى الاستطلاع والنقلة، ولكن افلاسه كان يحول بينه وبين قضاء هذه النزعة. وقد طلب من أمه أن تقرضه خمسة دولارات فأبت عليه ذلك حتى لا تشجع فيه هذه النزعة التى تحسبها نوعاً من التشرد والصعلكة؛ فاضطر الى أن يتذرع بالصبر حتى يجمع المبلغ المطلوب بارة فبارة، حتى اذا ظن أنه أصبح غنياً يستطيع مواجهة العالم الفسيح فر فى ليلة من الليالى يريد (أن يحيا حياته) على حد تعبيره، فكسبه الترحال والتجوال ثروة فى اختباراته، ووفرة فى انطباعاته، أفادته كثيراً فيما بعد حين تكشفت مواهبه النادرة عن الكاتب النابه (مارك توين)

— ٢ —

على أن من النادر أن تأتى الشهرة والنباهة دفعة واحدة، فقد كان أول الطريق على صمويل وعراً، طوّف فى البلاد ما طوّف حتى بلغ نيويورك، فأتقن فن الطباعة، ثم ارتد الى هانيبال، وكان عمره إذ ذاك ثمانية عشر عاماً؛ وكان أخوه فى غضون ذلك قد تزوج وأصبح مديراً لاحدى المطابع، فصار صمويل عاملا من عمالها، ولكنه كان قد تذوق الحرية وقرأ كثيراً من كتب الرحلات، فما كان يحلم إلا بانتجاع أمريكا الجنوبية على ضفاف الأمازون؛ وكان للمصادفة مرة أخرى يد بيضاء فى توجيه الشاب الحالم. فقد عثر ذات يوم فى الطريق على ورقة مالية من ذات الخمسين دولارا، ولما لم يجد لها طالباً فى الصحف احتفظ بها وعاد من جديد يضرب فى الأرض. سار على ضفاف المسيسبى منحدرا مع مجراه حتى بلغ بعد خمسة عشر يوما (أورليان الجديدة)، وهنالك أدركته خيبة الأمل؛ فقد علم أن ليس فى البواخر ما يسافر إلى الجنوب، وإذن لا يستطيع أن يبحر كما فكر وقدر. صفرت يده من المال، وهدده الشرط أن يعاملوه معاملة المتشرد، وأخذت حاله تسوء من يوم ليوم ... ولكن إله المصادفة كان يرعاه، ففى الوقت الذى بلغت فيه حاله من الحرج وحياته من الضيق مبلغا شديدا، ألفى فى طريقه بحاراً يدعى (بكسبى) تقدم اليه صمويل ليكون تلميذاً بحرياً فى سفينته دون أن يفكر فى المصاعب التى يلقاها الملاح فى نهر كالمسيسبى طوله اثنا عشر ألف ميل، وبه من التعاريج ما يجب على راكبه أن يعرفها على التفصيل والجملة. ولكن وساطة بعض الأصدقاء ذللت له العقبات وسهلت عليه القبول. قضى المغامر الشاب عهد التعلم الشاق فى ثبات وصبر وشجاعة، حتى غدا قائدا ماهرا للسفينة... أصبحت حجرة الدفة مأواه، والنهر المتنوع الحى مدرسته، فكانت هذه الحياة العاملة التى قضاها فى النهر بعد تلك المقالات التى نشرها فى جريدة أخيه مدرسة ناجحة لهذا الصحافى المنتظر؛ ومن ملاحته فى الماء العذب أخذ صمويل اسمه المستعار (مارك توين)، فقد كان فى بعض مواضع النهر كثبان من الرمل، فاذا ما اقتربت السفينة منها سبر العامل المختص غور الماء، وقال وهو يلاحظ المسبار: ارقم ثلاثة (By the mark three) أرقم اثنين (mark twoin) وهلم جرا ... فأعجبت صمويل كلمة مارك توين فاتخذها اسما له.

راغ صمويل من حرب الانفصال طول شبوبها ، ثم سافر بعد ذلك مع رفيق له يبحثان عن الذهب ، ولكن ما معه من المال نفد سريعاً ، فاضطر الى العمل أجيرا فى منجم من مناجم الذهب بعشرة دولارات أسبوعيا ، وهى أجرة ساخرة إذا قيست بالعمل المرهق المنهك الذى كان يؤديه هذا المسكين . وذلك كان رأيه ، فانه حين ظفر يوماً بمقابلة المدير طلب منه زيادة الأجر فقال له المدير : إنك لا تساوى شيئاً ؛ ومع ذلك فأنا أحب أن أعرف ادعاءك . فقال له صمويل بأدب : إنى رجل معقول ، لذلك أقتنع بأربعمائة ألف دولار فى الشهر ؛ فما كان جواب المدير إلا أن طرده لتوّه . ولما لقيه بعد ذلك مصادفة سأله ألم تندم على شىء ؟ فقال له : بلى « بعد أن علمت ما هو العمل فى المنجم كان ينبغى أن أطلب سبعمائة ألف دولار أجرة فى الشهر لا أربعمائة ألف كما طلبت »

بعد هذه التجربة القاسية عزم صمويل أن يبحث عن الذهب على حسابه ، فاشترك مع رفيق له ، وحصل على امتياز ومضى فى العمل . ولكنه تعلم على حسابه أن الثروة لا تواتى الجسورين دائماً . فقد أهمل هو ورفيقه أن يسورا الأرض التى علكان فيها الامتياز ، فنازعهما على ملكها بعض الناس ، وأعوزهما الدليل فآلت الى هؤلاء النازعين ، ويحثوا فيها فعثروا على عروق خصبية من الذهب . وكانت الصدمة قوية على الشابين . ولكن المصادفة أدركت صمويل فى ساعة المحنة . إذ طلب إليه أن يكون وكيلا للادارة فى جريدة (انتربرز) ، وهذا المنصب فى نظر صمويل كان عرقاً ذهبياً من نوع آخر ، إذ أدخله على غير انتظار فى حلبة الأدب . وكان دخوله فى تحرير هذه الجريدة فرصة حسنة تمكنه من ناصية الانشاء والقصص ، فصقل بالتحرير أسلوبه ، وهذب بالمران حكاياته ، ولكن طبعه الهجّاء وروحه المداعب الفكه لم يخمدا فيه ؛ وأوشك فى البداية أن يقع منهما فى ورطة شديدة ، وذلك أنه نشر فى بعض الأيام بيانا عن حادثة قتل وقعت فى محطة (دوتش نيكس) أطلق فيه لخياله العنان ، فذكر أن القاتل بعد أن طعن زوجته وأطفاله التسعة بالخنجر وضرب نفسه فقطع عنقه من الأذن إلى الأذن ، امتطى جوادا عدا به حتى بلغ (كنساس ستى) ثم خر صريعاً هناك . نقلت ذلك الخبر جرائد كاليفورنيا كلها ثم حملت فى تعليقاتها على وحشية القاتل وفظاعة جرمه ،

ولكن جرائد بعض الولايات القريبة روت ذلك الحادث الغريب وقالت انه حديث خرافة . فكان ذلك فضيحة طريفة للكاتب أوشكت أن تخرجه من عمله

ثم انتقل إلى (سان فرنسيسكو) واستمر يكتب فى الصحف كتابة رفعت شأنه وأذاعت اسمه فى ولاية (كاليفورنيا) ، ولكنه بعد أن نشر كتابه (قصة الضفدعة التى تثب) أصبح نابه الذكر بعيد الصيت فى أمريكا أولا ، ثم فى سائر البلاد بعد ذلك ؛ واحتل من الأدب العالمى مكانا ممتازاً لا يتبوؤه إلا القليل . كذلك فى هذه المدة نال مارك توين شهرته القائمة فى فن المحاضرة ، وأضاف إلى علمه العميق بفن القراءة وقدرته العجيبة على زخرف الحديث ، موهبته الساحرة لجذب قلوب السامعين بالمرح والضحك . ولما عزم أن يحاضر الجمهور لأول مرة كتب فى الاعلان الذى ألصقه على الجدران : « فتح الأبواب فى الساعة السابعة والنصف ، وابتداء الضجة الفاضحة فى الساعة الثامنة تماما . ولما زار انجلترا ليلقى فيها بعض المحاضرات أحس فى أول اختلاطه بالجمهور اللندنى بعض الفتور وشيئا من عدم الثقة ، فعلم أن ليس من اليسير التغلب على الطبع الانجليزى المتزمت المحتشم ، فطفق يتحدث عن أخبار رحلاته وعن انفعالات نفسه أمام جبل « يبرد الهواء على قمته بردا يجمد له مخ الانسان فى التو ، وأثر ذلك فى كل من يصعدونه أن يصبحوا عاجزين عن قول الحقيقة » ثم سكت قليلا وقال فى لهجة نادمة ساذجة : « انى أعرف شيئا عنه لأنى صعدت فوقه ! » فانفجرت قاعة المحاضرة بالضحك المرح ، واعتقد ساعتئذ أنه ربح الصفقة واكتسب السامعين

وكان يلقى ذات مرة محاضرة فى (بوستن) فقاطعه أحد السامعين وسأله رأيه فى الجنة والنار ، فأجابه « لا أريد أن أبدى رأيى فيما تسأل ، لأنى لى أصدقاء كراما فى هذه وفى تلك ! »

— ٣ —

كان مارك توين ذكى القلب متوقد الذهن ، ولكنه لم يكن على شىء من حسن السمت وجمال الشارة ، فقد كان هندامه مهملاً ولقاؤه جافاً ومعاملته خشنة ؛ على أن السنين صقلت هذا الفلاح فاكتسب سمت النبلاء بفضل امرأته (أوليفيا كليمنس) التى بنى عليها فى سنة ١٨٧٠ . وكانت هذه السيدة أنيقة متقفة

٦٠ • ٥

ذكية ، فأثرت تأثيرها الجميل فى زوجها ، ودامت حياتهما الزوجية خمسا وثلاثين سنة لا يكدر صفاءها حادث ، ولا ينغص هناءها خلاف . وقد جاهدت هذه الزوجة الكريمة فى إصلاح زوجها ، فلست شعثه وحالت بينه وبين بعض الأمور التى لا تلائم مكانته . كانت ترعاه رعاية الأم لطفلها ، فلا تدعه يخرج الى مكان ما قبل أن تفحص هندامه فحصاً دقيقاً مخافة أن يكون فى شكله وزيه ما يخالف العادة

وكانت تنبهه إلى كل شيء حتى إلى خلع معطفه فى المدخل قبل أن يدخل البهو . فاذا غابت ذات يوم كانت الطامة ، فقد اتفق مرة وهما فى وشنجطون أن خرجت السيدة كليمنس لبعض شأنها ، وكان على مارك توين زيارة لابد أن يؤديها إلى سيدة من سيدات الطبقة العليا . فارتدى ثيابه بنفسه وخرج دون أن يخضع هذه المرة لتفتيش زوجه . أدى الزيارة وعاد إلى مكتبه فى زيه الفاخر وطفق يعمل . وكانت زوجه قد عادت فى هذه الاثناء فدخلت عليه تلاطفه وتسأله عن الزيارة . ولكنها لم تكد تلق على السيد نظرة حتى رفعت يديها إلى السماء وصاحت قائلة : يا لله ! أفى هذه الهيئة زرت السيدة فلانة ؟ فأجابها : وهو قلق يعيد النظر فى نفسه خلسة : ماذا ؟ ألست فى زى أنيق وشارة حسنة ؟ فقالت : ولكن أين رباط رقبتك ؟ لقد نسيت رباط رقبتك ! يالفضيحة الفظيمة ياعزيزى !! فأجابها بلهجة مصالحة : « أهذا كل ماهنالك ؟ لاتضايق نفسك فسأسوى الأمر » وما كان أشد دهشة الزوجة حين علمت فى اليوم التالى كيف سوى زوجها الأمر ! علمت أنه أرسل رباط رقبته مع الخادم إلى السيدة التى زارها مصحوباً ببطاقة كتب عليها : « هذه تكملة زيارتى »

* * *

على أن الدهر لم يسالم الكاتب النابغ طويلا ، فقد فجعه الموت فى ثلاث من بناته قضين صغيرات ، وجل الخطب وفدح الرزء بفقد زوجته المحبوبة ؛ ولكنه عاد فتصرف على هواه ، وقرر بعد موت زوجته ألا يرتدى غير الثياب البيض وقد حرص على اتخاذ هذا اللون بقية عمره

كان مارك توين رقيق القلب شديد العطف على الناس يقابل ضعفهم بالتسامح ، وبؤسهم بالرحمة ، وجرمهم بالعفو ؛ وذلك فى شيء من الفكاهة الحلوة والدعابة الخبيثة . دخل اللصوص ذات ليلة فى منزله فى (إستار مفيلد) وسرقوا كل ما وجدوه من الأوانى الفضية ؛ وكانت هذه السرقة شغل البيت وحديث أهله بالطبع ، فأخطروا الشرطة وأذاعوا الخبر وتقاسموا الهم ، إلا مارك توين ، فقد كان فى هذه الضجة هادئاً لا يعبأ بشيء ولا يقوم بحركة ؛ فلما هم بالانصراف ليلاً إلى مخدعه علق فى مكان ظاهر من مدخل الدار ورقة كبيرة كتب فيها هذه الكلمات

(اعلان للصوص فى المستقبل)

ليس فى المنزل بعد الآن أوان فضية بل مفضضة ، وهى فى ركن من أركان قاعة المائدة بجانب السلة التى تنام فيها القطاط الصغيرة ؛ وإذا احتجتم الى هذه السلة فلا تنسوا أن تضعوا القطاط فى درج البوفيه الأسفل . أرجو ألا تحدثوا ضوضاء ، وأن تغلقوا الباب وراءكم ، وتقبلوا خالص احتراماتى ؟ (س . كليمانس)

ومن السهل أن تتصور ما قابلت به الأسرة هذا الاعلان من الدهش المظلم والضحك الشديد . وهكذا عاش ممثل الذكاء الأمريكى حتى توفاه الله فى ٢١ ابريل سنة ١٩١٠ وهو فى أوج مجده

حول السنيين والشيعة

إلى الأستاذ أحمد أمين

للأستاذ السيد محمد صادق الصدر

يسرنى ويسرنى جداً أن أقرأك أيها الأستاذ الأمين على صفحات « الرسالة » - صحيفة الأدب الخالدة - حاملاً لواء الوحدة ، داعياً الى الاتحاد والألفة . وإن فى لحنك الجديد الحالى - يا أستاذ - لذة ومتاعا ، وإن فيه كل ما تصبو اليه النفوس الحساسة الشاعرة ، وإن تفسيرك للفظة الشيعة التى وردت فى كتابيك الجليلين وسفريك الثمينين : فجر الاسلام وضحاه ، وتصريحك بأنك لم تقصد من لفظ الشيعة الامامية الاثنى عشرية منهم ، وإنما قصدت الغالى الممعن فى غلوه ، كل ذلك منك عاطفة مشكورة نقدرها كل تقدير ونكبرها الاكبار كله ؛ وإن عاطفتك هذه لدليل أقوى دليل ، وبرهان أسطع برهان ، على أدب نفسك وطهارة ذاتك ، وعظيم أخلاقك وخلالك . وكن على يقين منى بأن تصريحك هذا قد رفع سوء التفاهم وأزال من نفوس إخوانك الشيعة البررة كل ملامة وعتب ؛ وإذا قرأت أو سمعت عن مفكريهم شيئاً لا يرضيك ، فانما كان ذلك غيرة على طائفتهم ودفاعاً عن آرائهم ومعتقداتهم ، وهذا طبيعى لكل أمة تحتفظ بكرامتها ، وتحرص على سمعتها ؛ واسمح لى بأن أقول إنهم لم يخطئوا إذ فهموا من لفظ الشيعة أنك عنيتهم ما دام لفظ الشيعة مطلقاً غير مقيد ؛ وليس فى كتابيك (فجر الاسلام وضحاه) عبارة واحدة على تقييد الشيعة بالغالية لتخرج الاثنى عشرية عن لفظ الشيعة المطلق الذى يشمل فرق الشيعة المتعددة ؛ ومن المقرر فى أصول الفقه أن المطلق إذا لم تقم قرينة تدل على تقييده يحمل على إطلاقه . وقد تكون ثمة قرائن — لا قرينة واحدة — قامت لدى الشيعة على الاطلاق وحملتهم على ما فهموه ، فان ذكرك للفظ الشيعة مطلقاً أيضاً فى كتابك (ضحى الاسلام) - بعد أن زرت العراق وطفت بمدن الشيعة ، واجتمعت برجالاتها ، وعرفت الشىء الكثير من عقائدها وآرائها - سوغ لهم هذا الفهم وحملهم على أن يعتقدوا هذا الاعتقاد ؛ ولست أريد بكلامى هنا أن أثبت أنك تقصد ما فهموه ، وإنما أريد أن أقول إنهم لم يخطئوا فى فهمهم ما دام إطلاق اللفظ كان يحتم عليهم فهم ذلك . وعلى كل حال سترى من الشيعة إخواناً شاكرين أفكارك وآراءك الأخيرة

وأود أن ألفت نظرك الى نقطة مهمة وردت فى مقالك القيم ، فقد قلت : « وليست الامامية التى يدين بها أهل العراق وفارس إلا فرقة واحدة من فرق عديدة بعضها باق الى اليوم ، وبعضها عفى عليه التاريخ » . إن الطائفة الاثنى عشرية هى الطائفة الوحيدة اليوم من طوائف الشيعة وهى مبثوثة فى العراق وفارس والهند وأفغان وسورية والبحرين والحسا والقطيف وفى غيرها من الأقطار الاسلامية ، وكل ما يبرز للعالم من آثار علمية ومنتوجات أدبية هو مما دبجته أقلام علماء هذه الفرقة وكتابها وشعرائها ، ولم يبق من طوائف الشيعة المتعددة غير هذه ، اللهم إلا بعض طوائف ضئيلة لا تذكر . لذلك أصبح لفظ الشيعة اليوم خاصاً بهذه الطائفة يتبادر الى الذهن لدى إطلاقه ؛ وقد بادت - ولله الحمد - أكثر هاتيك الطوائف الضالة التى شوهت سمعة الشيعة . وأملى وطيد ألا تعرض فى الجزء الثالث من فجر الاسلام الى غير هذه الطائفة لأنها هى الطائفة الوحيدة من بين طوائف الشيعة المتعددة ، التى يطابق عليها لفظ الشيعة كل ما لهذه اللفظة من معنى ؛ فهى التى شايعت علياً عليه السلام وتابعته فى أفعاله وأقواله ، وليست طوائف الشيعة الضالة من التشيع فى شىء ما دامت أفعالهم وأقوالهم لا تتفق وأقوال أهل البيت عليهم السلام وأعمالهم . ومن الخطأ جداً أن نجعل القياس والجامع للتشيع حب على (ع) ، لأنا إذا أردنا أن نجعل القياس هذا العنوان وجب أن نطلق على السنيين لفظة الشيعة أيضاً ، لأنهم يحبون الامام ويقدسون شخصيته ، فالمقياس للتشيع إذن هو المشايعة والمتابعة ، وهو الذى يقتضيه لفظ الشيعة ؛ أما الطوائف التى لا نجدها مطابقة لهذا اللفظ فليست من الشيعة فى شىء وإن ألصقت نفسها إلصاقا واتخذت لها هذا الاسم وساماً

أما ما رجحت من عقد مؤتمر فى بغداد يجمع بين علماء الطائفتين ، ويؤلف بين الفريقين فهذه فكرة ناضجة ، وأصبحت اليوم محتمة . وجدير بكل مسلم أن يبث هذه الدعوة ، ويسعى

لتحقيق هذه الفكرة فقد آن أن نتفق ونتحد ، وآن لنا أن نوحد الصفوف ونجمع الكلمة ، وآن لنا أن ننبذ النعرات الطائفية التي كانت السبب الوحيد في شق عصا المسلمين وبث روح الخصام في نفوس الأمة المسلمة التي كان يسودها الاتفاق ، ويعلو سماءها الحب والوئام . وحرى بنا – ونحن في هذا العصر الذي كثر فيه أعداء الاسلام ومناوئوه – أن نتناسى الماضي ونسدل حجاباً كثيفاً على كل ما من شأنه أن يكدر الجو ويثير العداوة والبغضاء . وإذا فرقتنا المذاهب بالأمس فستجمعنا المصائب اليوم . وإنى أتذكر كلمة خالدة في هذا الموضوع لعلامة جبل عامل الأكبر الامام السيد عبد الحسين شرف الدين نوهت عنها مجلة النار الاسلامية ، فقد قال عن الطائفتين : (فرقتهما السياسة ، وستجمعهما السياسة) ؛ فالسياسة التي فرقت بينهما طيلة الأعصر الماضية هي هي التي ستجمع بينهم في هذا العصر وتوحد صفوفهم في الأعصر الآتية ؛ وإن الواجب ليحتم على كل فرد من أفراد الأمة الاسلامية أن يبث روح الاتفاق الحية ، ويسعى غاية جهده في كل ما يرجع الى صالح الأمة ، (فكلكم راع وكلكم مسؤول عن رعيته) ، ولكن مما لا شك فيه أن المسؤولية العظمى تلقى على عاتق العلماء والمفكرين من الأمة ، فانهم هم القادة ، وهم الذين يقدرون الواجب ، وهم الذين يحسون بمسيس الحاجة إلى بث روح الاتفاق والألفة ، وهم قادرون – بما أوتوا من علم وحكمة وقوة بيان – أن يخضعوا العامة لآرائهم ونظرياتهم ؛ وإذا قام العلماء ببث هذه الروح ، وقاموا بإيجاد مؤتمر اسلامى عام ، فانما يقومون بواجب تفرضه عليهم حالة الأمة الاسلامية الحاضرة ، وتحتمه آى القرآن الكريم ونصوص السنة المقدسة ؛ فالقرآن الكريم يحض على الاتفاق ، ويحث على الألفة فيقول : (إنما المؤمنون إخوة) ، ويقول : (والمؤمنون والمؤمنات بعضهم أولياء بعض) ، ويقول : (ولا تكونوا كالذين تفرقوا واختلفوا من بعد ما جاءتهم البينات وأولئك لهم عذاب عظيم) ويقول (واعتصموا بحبل الله جميعاً ولا تفرقوا) الى غير ما هنالك من الآيات الكريمة التي تحتم على المسلمين أن يتفقوا ، وتحذرهم أن يتفرقوا فتذهب ريحهم ، ويخسروا عزهم ومجدهم . ونحن لو رجعنا الى السنة النبوية المقدسة لوجدناها تضرب على هذا الوتر وتلحن أحاديثها الشريفة على هذا التلحين ، وتواجه المسلمين بنحو هذا الأسلوب فتقول : « ذمة المسلمين واحدة يسعى بها أدناهم ، وهم يد على ما سواهم فمن أخفر مسلماً فعليه لعنة الله والملائكة والناس أجمعين ، لا يقبل منه يوم القيامة صرف ولا عدل » والأحاديث في ذلك كثيرة . وكان صلى الله عليه وسلم يبث هذه الروح المباركة ويحض عليها بمختلف التعبير ، وكان لارشاداته (ص) وتعاليمه القيمة دوى عظيم في أنحاء الجزيرة العربية ، وأثر في نفوس المسلمين الأثر الذي جعل فيهم روحا وثابة حية كانت هي السبب الوحيد في رقيهم الباهر ، وتقدمهم العظيم . فالأمة الاسلامية ما اجتازت تلك المراحل ، وما وصلت الى ما وصلت اليه من المجد والعظمة الا بالتمسك بالاتفاق والاعتصام بحبله المتين ؛ فبفضل الاتفاق أصبحت الأمة الاسلامية أمة حية ، وبفضل الاتفاق تربعت على دست الحكم وقبضت بيدها الحديدية على أنحاء المعمور . وإذا أردنا أن نسترجع مجدنا القديم ونسترد عزنا السالف لتحتم علينا أن نتقدم للعمل حاملين هذه الروح الوثابة المباركة . « وقل اعملوا فسيرى الله عملكم ورسوله والمؤمنون » ؟

بغداد — الديوان محمد صادق الصدر

وا أُمَّاهُ !!

للأستاذ الحاج محمد الهراوى

تكشَّفتُ للأحداثِ بعدكِ يا أُمّي ... فيا طولَ ما أَلقى من الحزنِ والهمّ
لِيَ اللهُ يا أُمّاهُ ما أنا بالذى ... تَعوَّدَ أن يقوى على الحادثِ الجَهْم
تلمَّستُ حزمي في المصاب فعزَّني ... لقد غاب عنّي في الثرى مصدرُ الحزم
فقدتُ التي كانت إذا شطَّ بي النوى ... تسائلُ عنّي في الدجى سارِيَ النجم
وإن ترمني الأقدارُ منها بحادثٍ ... تلقَّتهُ عنّي على الروح والجسم
وإن تُربتْ كفّي تجودُ بروحها ... مخافةَ مالَمْ أحتمله من العُدْم
وإن مسنى سُقمٌ توتْ عند مرقدي ... لزاماً فلم تبرحهُ إلّا معَ السُّقم
على أنّها والسُّقمُ يبرى عظامَها ... تحاولُ أن تُخفيهِ عنّي بالكتم
ولو أنها استطاعت لأخفتْ حِمامَها ... وقد حُمَّ، إشفاقاً عليَّ من الغمّ
فيا رحمتا للفاقدين أُمّهاتهم ... من الناسِ مثلي أو من الطيرِ والبُهْم
فإنّ الحنانَ الحقَّ في الأمّ وحدها ... وغيرُ حنانِ الأمّ ضربٌ من الوهم
هيَ الأمُّ سرٌّ لستَ تعرفُ كُنههُ ... وإن خِلتَها في صورةِ الدمّ واللحم
يقولون فانظرْ رسمها بعد موتها ... فقلتُ لهم في الرمسِ أمّي لا الرسم
فإن فاتني ذاك الحنانُ التمستُهُ ... على حسرةٍ من ذلك القبرِ بالأمّ
دفنتُ به من لا يني إن دعوتُهُ ... إلى معشرٍ صُمٍّ إذا ما دُعوا بُكم
فإن قلتُ يا أُمّاهُ أغنايَ اسمُها ... عن الأبِ والأبناءِ والخالِ والعمّ
عصاميّةٌ كانت على حين أنّها ... لها نسبٌ فوق النقيصةِ والذمّ
وأُميّةٌ كانت ولكنَّ رأيها ... لدى مُعضلاتِ الأمرِ فوقَ ذوي العلم
فقدتُ أبي طفلاً فلم أدرِما الأسى ... وأفقدتُها كهلاً فهدَّ الأسى عزمي
سلوني أحدّثكم عن اليُتمِ بعدها ... فإنَّ اليتيمَ الكهلَ أعرفُ باليُتم
فياليتَ أيامَ الحياةِ وقفنَ بي ... لدى موضعٍ منها من اللثمِ والضمّ
ويا ليتَ لم يقطعْ بنا الدهرُ شوطَهُ ... فإن خطاهُ للقطيعةِ والصرْم
سرى لِيَ يا أُمّاهُ طيفُكِ في الكرى ... فغابَ خيالُ الأمّ عن زورةِ الأمّ
وأنّى لِيَ السلوى وقد حال دونها ... مثالُكِ في عيني وطيفُكِ في حُلمي
سأخضعُ يا أمّي لقلبي ومدمعي ... على رغمِ ما أبديتِ من نُصحِكِ الجمّ
وأبكيكِ بالقلبِ الذي تعرفينَهُ ... وللدمعِ شأنٌ غير ذاك في الحكم

محمد الهراوى

ليلة حوراء

للأستاذ عبد الرحمن شكرى

رق الظلام بليلة ... حوراء كالطرف الكحيل
سحر العيون كسحرها ... بين الشواهد والشكول
هي فتنة الحدق الملا ... ح وفتنة الطرف العليل
رق الظلام كأنه ... متفيأ الظل الظليل
في روضة فينانة ... هجر الهجيرُ بها المقيل
وصفا الدجا فكأنما ... مزج النهار به الأصيل
فتمازجا كتمازج الـ ... ـماء المصفّى والشمول
في جنحها وصفائها ... قرنَ الجليل إلى الجليل
وتصالحا من بعد ما ... ترق السبيل عن السبيل
يحنو علينا مثلما ... يحنو الخليل على الخليل
ونخالها حلماً يسـ ... ـد جل عن قيد العقول
ولرب ليل فاحم ... فيكاد يُقطع أو يسيل
لا مثل ليلتيَ التي ... تندى على الوجد الفخيل
في سحرها وصفائها ... وبجوها برء الغليل
عم السكون كأنه ... ملكٌ على الدنيا نزيل
فكأنها رسم بدا ... وكأنها حلمٌ مخيل

في مثلها من هدأة | سكن القضاء فلا يصول
وكهدأة في معبد | للخاشعين به مثول
وكأنما أغفى الهوا | ء كغفضة الطرف الكليل
والبدر طيف في المنا | م يطيف كالحِبّ الوَصول
في مثلها من ليلة | عبد الدنى أهل الحلول
ورأوا تجلّي الله في | كون عراه له ذهول
والزهر كالمسحور وسـ | نان الحاسن في ذبول
والنهر غافٍ راكد | نسيَ الترقرق والمسيل
ورنان يحلم بالريا | ض وظلها فيه الظليل
في مثلها من ليلة | يقف الزمان فلا يحول
يصغي إلى نجوى القلو | ب وذكرها العهد الجميل
كوقوف نجم سمائها | يثنيه من سحر ذهول
كذهول مسحور بما | تجلو من الحُلُم الجميل
ياليل بل يا سحر بل | يا حُلْمُ ليتك لا تزول

عبد الرحمن شكري

الحياة
للأستاذ فخري أبو السعود

ليت شعري لأي أمرٍ مُراد | قد سرت منك نفحةٌ في الجماد ؟
فاستقلت أجزاؤه من همود | وسما بعد طول ذاك الرقاد
دائبَ السعي لا يَمَلّ حراكاً | مستمراً ولا طويل جلاد
ساعياً دون غاية يجتليها | سعي ذي غاية جَليّ المراد
صابراً للصروف كيف توالت | مستجيبا للنازلات الشداد
فيك بؤس له وفيك نعيم | وهو في الحالتين لهفان صاد
يبلغ الجوع منه والخوف والحز | ن وعاتٍ من نازل الداء عاد
باسماً للرجاء يشرق بعد الـ | ـكد منه وبعد وَعْر الجهاد
آملاً كيفما تمادى شقاه | أن يدورَ الزمان بالإسعاد
وهو مهما أصاب خيراً مُريحاً | غيره منك طامعٌ في ازدياد
وهو مهما طال البقاء به را | ج بقاءٍ وراغبٌ في التمادي
وحريصٌ على هواكِ وإنْ لم | تلق غير الجفاء والإبعاد
فرط حبٍّ قد استوى أفتكُ الفتـ | ـاكِ فيه وأزهدُ الزُّهّاد
ليس يدري سواكِ أصلاً وفصلاً | ليس يثنيه غيرَ واديكِ واد
يكره الموتَ جَهْدَهُ وهو رَوْحٌ | وقرارٌ له على الآباد
وإذا حنّ للخلودِ تقيٌّ | يبتغي بالصلاح دارَ الرشاد
فهو يبغي في الخلدِ ما فيكِ من نُعـ | ـمى ومن فتنةٍ ومن إرغاد
وهو يبغي جميع ذلك صفواً | من صنوف القذى ورَيْب العوادي
وهو يبغي جميع ذاك مُقيماً | مستمراً له لغير نفاد
جَنّةُ الخُلدِ صورةٌ منكِ تَحْذُو | منه شتّى المُنى وحاج الفؤاد

فخري أبو السعود

فراق
للأستاذ رفيق فاخوري

يا خدينَ الصِّبا رعى الله عهداً | لم يلد مثله الزمانُ المقلّ
لا أرى لي عمراً سواه فلولا | ظله لم يكن لحياي ظل
هو فصلٌ من النعيم نهبنا | هُ قصيراً ، ولذةٌ لا تُمَل
لمحٌ من سعادةٍ ورخاء | أعقبتْ حسرةً تمرُّ وتحلو

***

زعموا البعدَ منتهى كلِّ أنسٍ | وفراقَ الأحبابِ خطباً يجلّ
قلتُ : إنْ أزمعَ الخليطُ احتمالاً | ففؤادي بالوجد لا يستقل
نحن كلٌّ بوحدة الروح يحيا | وجميعٌ على العُداة مُطِل
فاذا تالله التفرقُ يوماً | لم يكنْ فيه للحياة مَحَلّ
يامتين السلوان ليت لقلبي | ما يُميتَ الحنينَ فيه فيسلو
آتِهِ جرعةً تنول حجاه | عَلّه من بواعث الهم يخلو
كاد من لوعةٍ وفرط اشتياقٍ | عن حماهُ بين الأضالع يجلو
ضاقَ عن حُبّه فتىً ذا مراسٍ | واشتكى من عذابه وهو طفل

حمص — رفيق فاخوري



صور من هوميروس

١٧ ـ حروب طروادة

طوفان . . .

للأستاذ دريني خشبة

تفزّع الطرواديون مما أخذهم به أخيل ؛ وزادهم خبالا هذا الظلام الذى راحوا يضربون فيه على غير هدى ، والذى كانت تمد حيرا فى دياجيره فيتدجى فوق الساحة الصاخبة ، وعكف لابن بليوس من أعدائه فيضرب فى أقفيتهم ، ويهوى على أعناقهم ، ويمسح رءوسهم ويضرب كل بنان

وضاق الجسر بجموع الفارين ، فاضطروا إلى خوض عباب النهر الزاخر ، وخوّضوا فيه بخيلهم ورجلهم .. وتطامن لهم سكمندر [١] فسكنت أواذيه ، ونامت جراجره ، واسكشف قاعه عن حصباء كالدر النضيد ... ...

وتبعهم أخيل فخاض مياه النهر ، ثم أعمل سيفه ورمحه ، فكانت شآبيب الماء تختلط وشآبيب الدماء ، وأنين القتلى يمتزج وأصداء المنهزمين ، والجماجم المنتثرة تصطدم بالأشلاء الطافية هنا وهناك ، والسماء الكاسفة ترسل عقبانها تغتذى بالجزر المتساقط فى رحب المعركة ، من بطون مبقورة ، وهام مُفلّقة ، ولحم مقروم ... ...

واستطاع أخيل أن يحصر اثني عشر شاباً فيأخذ عليهم سبيل الفرار ، وفضل أن يرسلهم الى سفائنه أسرى حتى لا يثخن فى الأرض ، وحتى يشهدوا ثمة ذلك القتيل السجى ، تسقيه

(١) رب النهر المحيط بطروادة

ذيتيس الحزينة خمرا ؛ فكبل أرجلهم وأيديهم من خلاف ، ووكل بهم جماعة من رجاله فقادوهم الى الأسطول ، بعد ما وقفوا هنيهةً أمام جثة بتروكلوس ، يؤدون لها تحية المعركة التى دارت رحاها عليهم ، واصطلوا من بعده بنارها

وطفق أخيل يأخذ الجموع من كل حدب ، ويلقاهم فى كل صوب ، حتى كان وجهاً لوجه أمام ليكاون بن بريام ، الذى كانت له معه قصة قديمة مشجية ، زمان إذ أسره أخيل واستاق قطعانه ، وحبسه فى جزيرة لمنوس ، حتى افتداه أهله من الحرس الموكل به ، ورشوهم بمائة ثور جسد ذى خوار ليطلقوا سراحه !

مسكين ليكاون بن بريام ! لقد فر من جزيرة لمنوس منذ اثنى عشر يوماً فقط ، وسعى الى هذه الساحة النكراء ليلاقى فوق أديمها حتفه ، كما لقيه أخوه بوليدور من قبل

ودهش أخيل إذ رأى ابن بريام يذرع الميدان أمامه ، وعجب من أفلته من منفاه السحيق فى عرض البحر ... ثم أيقن أن فى الأمر مكيدة ... فانقض على الفتى المسكين انقضاض الباشق ، وأرسل اليه طعنة نجلاء كادت تخترم أجله ، لولا هذه اللأمة الرشيقة التى انفتلها الشاب فأنقذت حياته ... ولو إلى حين !

وفتح الفتى عينيه فنظر إلى شبح الموت تنتشر مداريه من ظباة أخيل ، وأحس كأن هذا الشبح يلاحقه فى كل مكان فيقبض على عنقه ويضغطه ، ثم ينشب فيه أظفاره فيسرى السم فى هيكله الخاوى فلا يكاد يبين !

وحاول أن ينجو من روع هذا الموقف ... ولكنه كان أبطأ من حتفه الذى يسابقه ، فلما أيقن أن لا سبيل إلى الفرار ، ألقى سلاحه وتقدم إلى أخيل فقبل ثرى الساحة عند قدميه ، ثم لف ذراعيه المرتجفتين حول ساقْ زعيم الميرميدون ، وطفق يضرع اليه ألا يقتله ... « فان لى أماً محزونة ما تفتأ ترسل دموعها على أخى بوليدور الذى قتلته منذ لحظة ، والذى أذويت

شبابه النضر ولم تبق على عوده الفينان ، ولم ترحم فيه قلوباً تعطف عليه ، وأباً شيخاً أصبته في ولده بقاصمة الظهر ... ...
أرسلني يا أخيل تباركك الآلهة ، وترعاك أرباب الأولب ،
ولا تفجع في ذينك القلبين الحنين على ، الحفيين بي ... »

وكان الفتى يرسل توسلاته بعبرات شبابه ، ويصهرها بآمات صباه ... ولكن أخيل الذي يضطرم حزناً على بتروكلوس ، لم تأخذه رحمة في ابن بريام المسكين ، وأخي هكتور الذميم ... ! بل استل جرازه البتار وأهوى به على عنق الفتى ... فطاح الرأس الطراودي الكريم !!

وكان البطل الطروادي العظيم ، ستراببوس بن بلجون ، رب البركات ، الذي يدين له بحياته أكسيوس رب النهر الشرق الكبير ... كان ستراببوس على مقربة من أخيل وهو يصرع ليكاون بن بريام ، فجزع - شهدت الآلهة - على ابن الملك ، وأحزنه ألا يرق أخيل لتوسلاته ؛ ووقر في نفسه أن يقتص له من هذا الشيطان ، ويخلص الطرواديين منه ، فيطير ذكره في الخافقين ويقترن اسمه بعالم يقترن به اسم أحد في العالمين . فيمم شطر أخيل والكبرياء تنفخ أوداجه ، والغرور يشيع في أعطافه ، ثم هز رمحه هزة المتحدي الخصيم ...

وزجره أخيل فلم يزدجر ، فانقض عليه انقضاض الحتف ، وأخذه أخذ المنية ، لا تجدي فيها إذا أنشبت أظفارها التمائم ، ولاندفعها الرقى ، ولا تفلت من أقصدته ولو كان في برج مشيد !

وأرسل أخيل رمحه كالصاعقة ، لو لاقى الصخر لقده ، أو الجبل لنفذ فيه ، ولكن ستراببوس كان أرشق من أن يلاقي الطعنة فازلق ازلاقة خفيفة أذهبت الرمح في الهواء ، ثم هوى إلى الأرض فغاص فيها ؛ ومن ثمة راح يداعب أخيل حتى أحنقه وحتى بلغ الغيظ منه ، فامتشق بن بلبوس سيفه وصرخ صرخة رجفت لها السماء ، وانصدع من هولها جانب الجبل ، وهجم على ستراببوس هجمة رابية فلم يفلته ، بل أرسل السيف في بطنه فخرج سنانه من ظهره ، وبرزت الأمعاء فاجتمعت حولها أسماك الماء ، تنوشها وتغتذي بها ...

وريع سكمندر ، رب النهر العظيم ، إذ نظر فرأى ابن ضيفه المقدام ، يلفظ أنفاسه ، ويساقط نفسه ، فدارت الأرض به ، وضاقت عليه بما رحبت ، وتجهم من توه لأخيل ، وود لو انشق فابتلع ابن بلبوس آخر الدهر ، أو لو يأخذ هو سيفاً فيقد به أضلاعه ، ويطيح به رأسه ، ويريح العالم من بأسه . لكنه آثر ، كالته له وتاره ، أن ينذر أخيل ويأخذه بالحيلة ، فخاطبه من القرار ، قال : « أخيل ! يا ابن بلبوس العظيم ! أنا لا يهمني أن تصطلم الطرواديين جميعاً ، ما دام زيوس قد سلطك عليهم ورماهم بك . . . أنا لا يهمني من ذلك شيء ... ولكن الذي يحزنني ويضيق به صدري هذه الجثث الكثيرة التي يمج بها عبابي ، وينتشر منها الخبث في أرجائي ... لقد أنتنت يا أخيل ، وخالطت عذوبة مائي ، ولم يعد لي بها طاقة ، ولا عليها جلد ... وهي إلى ذلك كادت تقف تياري ، وتشل حركتي ... فهلم فارفعها عني ، وقف التصريع والتقتيل حتى تطهر مجراي من أدرانها وحتى ألفظ أنا إلى البحر ديدانها ... »

وتبسم أخيل قائلا : « أما أن أقف هذه الحرب فلا سبيل إلى ذلك حتى آخذ بثأر بتروكلوس ، وحتى أدك طروادة على رأس هكتور ، فإما أن ألقاه فأقتله وإما إن يلقاني فيقتلني ؛ وأما أن أطهر مجراك من عناء الجثث الطافية فوقه فليس لي الآن بذلك يدان ... أو تضع هذه الحرب أوزارها ... »

وحنق سكمندر العظيم ، وانطلق إلى أبوللو يكلمه في أمر أخيل ، ولم يدعه أبوللو حتى أغراه بابن بلبوس أعدى أعدائه ، وأشد شانئيه ، وحتى أثاره عليه ، وهاج فيه كل حقد دفين . وعاد سكمندر فأشار إلى الماء فعلا وفاض ، وإلى الموج فتلاطم وجرجر ، وإلى الأواذي فدومت وهومت ، ولاحقت أخيل من ههنا ومن ههنا ؛ وفطن ابن بلبوس إلى الخطر الذي أوشك أن يحيق به فهرع يحاول الفرار ... ولات حين فرار ... فقد أزبد الموج ، وانساب العباب ، وتشققت الأرض عيوناً ومسايل ، وعمقت اللجة ، وبعد ما بين سطحها وبين قدمي أخيل ، أو ما بينه وبين قرارها ، فأطلق المسكين ذراعيه يسبح في أغوارها ، ويتماسك بالجثث الطافية فوقها

واشتد الخطب ، وعظم الكرب ، وصرخ أخيل يستنجد أربابه ، فما كادت حيرا تسمعه حتى فزعت إليه ، وأمرت فلكان ابنها فانطلق يجفف الأمواه بنيرانه ، ويرسل على الطوفان بدخانه ،

ويستعين فى كل ذلك بآلهة الريح التى هرعت اليه من كل صوب تساعده ، وكان زفيروس الكريم يهب على النهر اللجى سجسجاً ، ويذهب منه بكل مزنة مثقلة ، وديمة محملة ، فلم يمض غير بعيد حتى صفا الجو ، وغيض الماء ، وبرز أخيل يحمل عدته ، فطربت الآلهة لنجاته ، وانقض ڤلكان على سكمندر يحاول أن يثأر لأخيل منه ... ! ولكن بعد أن عاهد حيرا — إذا هى صدت عنه ولدها ڤلكان — أن يحصر الطرواديين بموجه ، فلا يمكنهم من الدخول إلى مدينتهم ، ويجعلهم بذلك هدفاً لأخيل يصنع بهم ما يشاء ! !

***

وتثار الخصومة بين الآلهة لموقف ڤلكان من سكمندر ... ويغيظ مارس من ميزڤا أنها تؤيد ڤلكان وتحرضه على رب النهر المسكين الذى أفزعته النيران تأخذه من كل حدب ... فتقدم إليها وطفق يقرعها وتقرعه ، ويرميها بالمثالب وترميه بها ... ثم تناول رمحه العظيم واستجمع كل قوته ، وأرسله يود لو يقضى به على ربة الحكمة الحازمة ، ولكن ، ويل لك يا مارس ! لقد ارتد الرمح فلم يستطع إلى درع ميزڤا من سبيل ... وانحنت الآلهة المنيطة فأخذت حجراً من أكبر حجارة الجبل وقذفت به مارس فدكت عنقه ، وقصمت ظهره ، وتركته على السفح الشاحب لَقًى من ألقاء هذه الحرب !

وظل مارس ممدداً على السفح يخور ويئن ، ويتلوى بجثته العظيمة (1) التى كانت ترتطم بالجبل فتميد به ، وتهزه هزاً ظاهراً

وأقبلت ڤينوس فوقفت توامى مارس وتهون عليه ما فعلت به ميزڤا ، ثم أنهضته وانصرفت به ، ولكن حيرا أرسلت فى إثرهما ميزڤا ، ترى ما يكون من أمرهما ... بعد كل تلك الفضائح التى لوثت شرفهما ، وجعلت اسميهما مضغة فى جميع الأفواه ...

وأقبلت ڤينوس على مارس تشفى حرقة فى قلبه ، وتنيله من قبلاتها ما تنسيه به

(١) جاء فى الميثولوجيا أن طول مارس سبعمائة قدم

الاشتراك المجانى فى الرسالة

لدخولها فى سنتها الرابعة

(١) ابتداء من أول يناير سنة ١٩٣٦ إلى ٣١ منه سيكون الاشتراك فى الرسالة على النحو الآتى :

صـ	
٥٠	فى مصر والسودان
٤٠	لطلاب العلم ورجال التعليم الالزامى
٦٠	فى البلاد العربية بالبريد العادى
٥٠	لطلاب العلم فى البلاد العربية بالبريد العادى

(٢) إذا دفع الاشتراك المخفض فى أثناء شهر يناير سنة ١٩٣٦ أهدى إلى المشترك مجموعة من السنة الثانية أو مجموعة من السنة الثالثة ؛ وثمن كل منهما ستون قرشاً مصرياً . وأجرة البريد على المشترك ، وقدرها خمسة قروش فى الداخل ، وعشرون قرشاً فى الخارج

(٣) إذا دفع الاشتراك الكامل فى أثناء شهر يناير سنة ١٩٣٦ وقدره ستون قرشاً فى مصر ، وثمانون فى البلاد العربية ، أهدى إلى المشترك نسخة من كتاب (ضحى الاسلام) أو (فجر الاسلام) للأستاذ أحمد أمين ، أو من كتاب (وحى القلم) للأستاذ الرافعى ، أو من كتاب (تاريخ الأدب العربى) للأستاذ الزيات ؛ أو كتابان يختاران من الكتب الآتية : آلام ڤرتر ، رفائيل ، فى أصول الأدب ، للأستاذ الزيات ؛ قصة المكروب ، مرجريت ، للدكتور أحمد زكى .

وأجرة البريد على المشترك وقدرها عشرة قروش فى الداخل ، وعشرون قرشاً فى الخارج

(٤) يقبل الاشتراك الكامل والمخفض أقساطاً من طلاب العلم ورجال التعليم الالزامى ، ولا يقل القسط عن عشرة قروش

بعض الذي لقيه من أذى ... ولكن مينرفا أهابت بهما ... !
وطفقت تنصح لهما أن يدعا اليوم فلا ينصرانها على شمهما
المختار ... هيلاس العزيزة ! ولكن ... ! لقد أسمعت
لو ناديت حياً ... ! فلقد أعطت ڤينوس باريس موثقاً ، وان
ڤينوس لصادقة ... !!

***

وانطلق نبتيون يعظ أبوللو ، ويصرفه هو الآخر عن مؤازرة الطرواديين ، فذكر له أياماً أن نفاهما زوس إلى أقصى الأرض ، فأتيا إلى طروادة ، وعملا في خدمة أميدون الجبار ، الذي لم يتورع أن يرسل أبوللو فيرعى له قطمانه ، ويسمّن نعمه وشاءه ، كأن لم يكن أبوللو ابن إلـه عظيم ، وكأن لم يكن هو نفسه إلـهاً عظيما !! ... « أتذكر هذه الأيام يا أخي أبوللو !! ... أتذكر أيام أن كان هذا العاتية العنيد يسومنا الذل ، ويقهرنا أرهق القهر ، وينزل بنا أشد ألوان الخسف ، متذرعاً بغضب سيد الأولمب علينا ، لا تأخذه فينا رحمة ، ولا يهمه أن نبرم ونتسخط ما دام — فيما كان يزعم — يؤدي ما أمره به أبوك زوس ! !

فيم هذه الناصرة كلها لطروادة يا أبوللو ؟ ... ما ذا تذكر من حسنات لملكها اللامين أوميدون ؟ ! أنسيت يوم أخطئناه بالتراخي قليلاً في عملنا ، فأمر بنا فقطعت آذاننا وشد وثاقنا ، وأصبحنا ضحكة كل راء ؟ ! ... لا لا يا أبوللو ... أنا لا أرتضي لك أن تكون غبياً إلى هذا الحد ... »

وعملت فيه كلمات العم نبتيون عملها ، فعاهده ألا يخوض غمار هذه الحرب كرة أخرى ، وقاسمه ألا يسدد فيها بعد اليوم سهما ... ولو عيرته أخته ديانا ألف تعيير !!!

وماذا لو عيرته ديانا ، ورمته بالجبن أمام نبتيون ؟ ! ها هي ذي حيرا تسمع الى ربة القمر ، فتقذفها أشنع القذف وأمره [1] ، ثم تهجم عليها فتكبلها ، وتنثر كنانة سهامها ، وتمضي بعد ذلك لشأنها ... وتأتي لاتونا أم ديانا الباكية — فتواسيها وتذهب واياها الى زوس ... المتربع فوق سدة الأولمب ، فتشكو اليه ما لحق ابنتها من زوجه ... ويغضي الالـه ... لأنه ليس له على حيرا يدان ... !

ويتم الظفر لأخيل وجنده بعد إذ ينسحب أبوللو من المعركة ، فيأخذ الطرواديين أخذ عزيز مقتدر ! ويقف بريام الملك في برج شاهق يطلع على الساحة ، ويشهد هزائم جنده ، فتدمع عيناه ... ويأمر بالبوابة الكبرى فتفتح ، ويهرع الجنود ناحيتها فراراً من أخيل وشياطين أخيل ، ولكن أخيل وشياطين أخيل تشطر الجنود الفارين شطرين ، بل يستطيع أخيل وكوكبة قوية من الميرميدون أن ينفذوا الى البوابة الكبرى ، ويدخلوا طروادة فاتحين ... ... !!

وهناك ! يثبت له أجينور البطل الطروادي الحلاحل ، ويأخذ مع أخيل في ملاحاة عنيفة ، ثم يتقارعان برهة ، ويصاول أحدهما الآخر ...

ويكون ... أبوللو ... !! الى جانب أجينور يحضه ويحرضه ، ويثبت قدميه ... ناسياً مواثقه التي قطعها على نفسه أمام نبتيون ... ...

ويهم أخيل أن يبطش بفتى طروادة

لولا أن يعز على أبوللو أن يلحق أجينور بصاحبه استرابيوس من قبل ، وبعشرات الأبطال من مثل سترابيوس ، فيتقدم الى أجينور يحميه ، ويرسل عليه سحابة بيضاء فيحمله فيها ..... مضللا أخيل عن خصمه ... ويبعده خارج البوابة التي يقفلها الطرواديون من دونه ... ...

(لها بقية) دريني خشبة

(١) لم يتورع هوميروس أن يتقاذف الآلهة بأخس ألوان الفحش فأثار بين حيرا وديانا سباباً ليس مثله سباب



الصقالبة فى الرواية العربية

رد على ملاحظة

وجه إلى قارىء فاضل هو الأستاذ عطية الشيخ فى عدد الرسالة الماضى ملاحظة بشأن ما ورد فى مقالى « الصقالبة فى الرواية العربية » تفسيراً لرواية الرحالة ابن حوقل البغدادى عن « صقالبة الأندلس » . فقد ذكر ابن حوقل فى رحلته المسماة بالمسالك والممالك عن الصقالبة ما يأتى : « وذلك أن بلد الصقالبة طويل فسيح ، والخليج الآخذ من بحر الروم ممتد على القسطنطينية واطرنزنده يشق بلدهم بالعرض ، فنصف بلدهم بالطول يسبيه الخراسانيون ويصلون ، والنصف الشمالى يسبيه الأندلسيون من جهة جليقة وأفرنجة وأنكبردة وقلورية ، وبهذه الديار من سبيهم الكثير باق على حاله » (ص ٧٥) ؛ قلت : « ومعنى ذلك أن الصقالبة الأندلسيين كانوا مزيجاً من الجليقيين (النصارى الاسبان) والألمان والفرنسيين (أهل افرنجة) واللومبارديين (أهل انكبردة) والايطاليين (من قلورية) » ، ولكن القارىء الفاضل يريد أن يفسر قول ابن حوقل بأن الصقالبة كانوا يصلون إلى الأندلس عن طريق البلاد المذكورة ، لا بأنهم كانوا يجلبون منها

وردى على ذلك هو أن المعنى الثانى هو الأرجح ، وهو الذى اخترت الأخذ به ، ذلك أن من بين البلاد التى يذكرها ابن حوقل أقطاراً كانت تقع فى صميم بلاد الصقالبة فى تلك العصور مثل لومبارديا (أنكبردة) وشرق افرنجة (ألمانيا) ؛ وفى الوقت الذى زار فيه ابن حوقل الأندلس فى أواخر عهد الناصر (أو أوائل عهد الحكم المستنصر) كانت كلمة الصقالبة تطلق فى الأندلس على جميع الأجانب الذين يخدمون فى البطانة أو الجيش ؛ ولم يكن يقتصر فى فهمها على الصقالبة الخلص ، أعنى سكان شرق أوربا وحوض الدانوب ، وفى القسم الأول من مقالى شرح واف لتطورات هذه الكلمة ، وذكر بعض المراجع التى تلقى ضوءاً على الموضوع

م . ع . ع

التاريخ والسينما

كانت حوادث التاريخ وما زالت أعظم غذاء المسرح والسينما ؛ والمسرح قديم عريق فى الاقتباس من حوادث التاريخ ووقائعه الشهيرة ؛ ولكن السينما استطاعت على حداثتها أن تتوسع فى هذا الاقتباس سواء من حيث الوقائع أو المناظر وذلك لتفوق وسائلها الفنية ، وقد بدأت السينما باقتباس كثير من حوادث التاريخ القديم وشخصياته ، فرأينا على ستارها حياة كليوباطرة ، وصفحات كثيرة من التاريخ الرومانى قبل رواية « كوفاديس » الشهيرة ؛ ثم كان عهد القصص التاريخية الكبيرة مثل « الفرسان الثلاثة » ، و « مونت كريستو » ، و « الثورة الفرنسية » لاسكندر دوماس وغيرها ، وفى الأيام الأخيرة رأينا ممثلا نابغاً هو السير أرليس يحيى لنا طائفة من أشهر شخصيات التاريخ الحديث مثل ريشيليو ، وفولتير ، والدوق ولنتون وغيرها

وفى الأنباء الأخيرة أن شركة فنية انجليزية قررت أن تخرج شريطاً مصوراً يمثل حياة ألفرد نوبل المخترع السويدى وصاحب جوائز نوبل الشهيرة للعلوم والآداب والفنون ؛ وكانت حياة نوبل صورة رائعة التناقض ، فقد قضى حياته فى اختراع أصناف جديدة من المفرقعات المهلكة ، ثم جعل كل ثروته بعد وفاته وقفاً على تشجيع العلوم والفنون ، ورصد منها جائزة كبيرة تمنح كل عام لمن يقدم أجل خدمات لقضية السلام . وقد رأى نوبل قبل وفاته نتائج اختراعاته المهلكة فى الحرب الفرنسية الألمانية (سنة ١٨٧٠) ورأى رائع فتكها ببنى الانسان فحزن لهذه النتيجة أعظم حزن وغدت حياته عذاباً مستمراً ، ورأى أن خير ما يكفر به عن هذا الاثم هو أن يهب كل ثروته التى جمعها من اختراع المهلكات لتشجيع أعمال السلام من علوم وفنون ، وهذه المأساة المؤلمة وما يترتب عليها من العبر البالغة هى التى يريد مخرجو الشريط الجديد أن يبرزوها للناس

والظاهر أن التعاون بين السينما والتاريخ لن يقف عند تمثيل

الحوادث التاريخية وإخراجها على هذا النحو ، وانه لن يمضى وقت طويل حتى تقوم السينما بدور أهم فى خدمة التاريخ ؛ فى باريس يعرض الآن شريط مصور (فلم) عنوانه « السينما فى خدمة التاريخ » وهو عبارة عن شرح مصور لأشهر الحوادث التاريخية التى وقعت فى الثلاثين عاماً الأخيرة ، ومادته مأخوذة من الصور المعاصرة التى سجلت عن هذه الحوادث نفسها . ومعنى ذلك أن المؤرخ قد يرى فى الغد القريب فى السينما نوعاً من المحفوظات التاريخية التى يمكنه أن يرجع اليها ليحقق بعض المناظر والحوادث . ولا ريب أن تسجيل الحوادث بطريق التصوير وسيلة مؤكدة لاجراء مثل هذا التحقيق ؛ وفى وسع المؤرخ أن يعتمد كثيراً على صورة لاجتماع برلمانى ، أو اجتماع دولى ، أو مناظر ثورية ، أو عسكرية ، أو غيرها صورت وقت حدوثها ، بأفضل مما يعتمد على الروايات المعاصرة ذاتها

مصادرة مؤلف ألمانى

من أنباء النمسا أن الحكومة النمسوية قررت أن تصادر كتاباً صدر أخيراً بالألمانية وعنوانه « الامبراطورة اليزابيث وأنا » بقلم السيدة مارى لويز فون فالرسى لاريش ، وقد أخرجته إحدى المطابع الألمانية فى ليبزج . والامبراطورة اليزابيث هى قرينة الامبراطور فرانز يوسف وامبراطورة النمسا والمجر ، وقد اغتالتها بعض الجمعيات الفوضوية فى سنة ١٨٩٨ ، وكان لمصرعها دوى كبير فى أوربا . وقد كانت المؤلفة وصيفة فى البلاط الامبراطورى ، وكانت صلاتها بالقصر والبلاط تهيء لها فرصة الاطلاع على كثير من الأسرار والحقائق الملوكية ؛ والظاهر أنها خرجت فى مؤلفها المذكور عن حدود التحفظ المألوف

العيد المئوى لصمويل بتلر

احتفل أخيراً فى انكلترا بالعيد المئوى لمولد الكاتب والشاعر الانكليزى الكبير صمويل بتلر ، وكان مولده فى نوفمبر سنة ١٨٣٥ فى مقاطعة نوتنهام شير ؛ وقضى طفولته فيما وراء البحار فى زيلاندة الجديدة ، وتلقى بعد ذلك تربية جامعية حسنة فى كمبردج . وكان بتلر ذا خلال ومواهب خاصة ، فقد كان مصوراً بارعاً يتمتع فى عالم التصوير بشهرة ذائعة ، ولكنه نزل إلى ميدان الأدب فجأة وأخرج قصته الشهيرة « ايرهوم » Erewbom وهى قصة طريفة تدور حول وصف عالم خيالى غير عالمنا وبلاد لا وجود لها إلا فى مخيلة الكاتب على مثل « رحلات جوليفر » الشهيرة وهى قطعة تفيض بالخاطرات والحوادث المدهشة ، ولكنها تفيض أيضاً بالسخرية اللاذعة والتهكم المر ؛ وقد تلاها فى أواخر حياته بقصة أخرى من طرازها وعلى منوالها فى سرد الحوادث وسماها « ايرهوم المنقحة » سنة ١٩٠١ ؛ وكتب بتلر أيضاً كتباً أخرى منها « الحياة والمادة » و « التطور قديماً وحديثاً » ، وهو مؤلف علمى يحاول فيه بتلر أن يدحض نظريات داروين فى التطور ؛ وكان آخر ما كتبه بتلر قصته الشهيرة The Way of All Flesh تركها مخطوطاً ولم تظهر إلا بعد وفاته فى سنة ١٩٠٣ ؛ وله قصائد ومقطوعات شعرية كثيرة ؛ وأهم ما يؤثر عن بتلر أنه كان بمثابة الأستاذ الروحى للكاتب من أعظم الكتاب الإنكليز المعاصرين ونعنى به برنارد شو ؛ وقد تأثر أيما تأثر بتفكيره وأساليبه فى التهكم والسخرية اللاذعة . وكانت وفاة صمويل فى سنة ١٩٠٢

نادى الجامعيين

يدرس الآن أساتذة الجامعة المصرية فكرة انشاء نادٍ لهم يقضون فيه بعض الفراغ ، فيتبادلون المعرفة ، ويتفاوضون الرأى ، ويتساهمون المودة . والفكرة حكيمة ولا شك ، لأن توثيق الصلات الحرة بين ممثلى الذكاء المصرى وأئمة الثقافة العالية له أثره البالغ فى توجيه النهضة الفكرية ، وتمهيد السبل لها ، وتوحيد الغاية منها

والمأمول أن نرى قريباً تحقيق هذه الفكرة

الفرقة القومية المصرية

افتتحت الفرقة الحكومية موسمها التمثيلى الأول مساء الخميس الماضى برواية (أهل الكهف) للأستاذ توفيق الحكيم ، فسمعنا من وراء الستار قارئاً حلو النغم يقرأ قول الله تعالى فى هذه القصة من سورة الكهف ؛ ثم ابتدأ الفصل الأول بمقدمة موسيقية رائعة تترجم الصور الخيالية التى كانت تمر على الستار الأبيض مصورة اضطهاد المسيحيين فى عهد دقيانوس قبيل حادثة الرواية ؛ وسنكتب عن الاخراج والتمثيل والرواية فى عدد قادم



في الأدب القديم :

١ — الإيجاز والإعجاز : للأستاذ محمود مصطفى
« أخرجته جماعة دار العلوم بالزام لجنتها المالية »

٢ — الفروق اللغوية : لأبي هلال العسكري

٣ — معجم الشعراء : للمرزباني

٤ — المؤتلف والمختلف : لأبي القاسم الآمدي
« نشرتها مكتبة القدسي »

للأستاذ محمد سعيد العريان

كيف نفهم الأدب القديم ، وكيف نتروَّاه ، وإلى أي مدى نستفيد منه ، وما وسيلتنا إلى ذلك . . . ؟

هذه أسئلة كثيراً ما تعرض لي ، حين يضمني مجلس إلى بعض المتأدبين من ناشئتنا الذين يدعون إلى الجديد ؛ وإن أعجب ما يلقاك في مثل مجلس هؤلاء ، هو الدعوة العريضة ، والانكار الساخر – أو سمِّه الانكار الجاهل – والاعتداد بالنفس في غير مُعتدّ ، ثم الحكم الجامع المانع لا نقض فيه ولا استثناء . وما أيسر أن تسمع من واحد من هؤلاء : « الأدب القديم . . . ! وما الأدب القديم ؟ وماذا فيه . . . ؟ » فلا أدب عنده إلا هذا اللغو الذي تنشره له الصحف ، أو هذه الرطانة العجماء تحاول أن تستعرب على لسانه ؛ ولا إنشاء إلا على مثال برقيات « روتر » و « هافاس » ، التي يترجمها (فلان) ويدعو إلى احتذائها فيما يكتب الأدباء وينشئون . . . !

ولو أنك ذهبت تحاول أن تحمل واحداً من هؤلاء على غير ما يرى في الأدب القديم ، أو أن تقنعه بما فيه من حياة وقوة – لأعياك أن تبلغ إليه ؛ وأنى لك أن تبلغ وما يعرف أكثر هؤلاء ولا يفهمون من الأدب القديم إلا محفوظات المدارس . . .

وما حصلوا من فنون اللغة إلا القليل من قواعد النحو والبلاغة في حجرات التعليم . . . ؟ بل لو أنك أردت واحداً من هؤلاء على أن يحقق لفظة في معجم ، أو يقرأ سطراً غير مشكول في كتاب – لكنت كمن يطلب إليه أن ينقل صخرة ، أو يحفر بئراً . . . ! فمن أين لمثل هذا أن يتذوق ما تجلوه عليه من روائع الأدب القديم ؟

وطائفة أخرى من هؤلاء المتأدبين آمنت عن تلقين ، أو تقليد ، بأن في الأدب القديم ثروة مخبوءة ، ومنجماً حقيقاً بالجهد وحسن الاستغلال ؛ فراحت هذه الطائفة – طمعاً في الثروة وحسن الاستغلال وحسب ! تحاول أن تعثر بشيء تسيغه ، أو تجد لُقَى تسمو اليه ، ولكنها لم تأخذ الأهبة ، ولم تهيء الأسباب ، وحسبت أن في أظفارها اللينة غَناءً عن الفئوس والمساحي في الحفر والتنقيب ؛ فلما آبت أوبتها الخاسرة ، عادت تعيب ما كانت تباهي به ، وتنكر ما كانت تعترف ؛ ولو أنصفت لعابت الجهد الكليل والعزم الخائر

وقد جلست مرة إلى آنسة متأدبة تشتغل بشؤون التعليم ، فلقيتني متعبة مكدودة وهي تقول : « حسبي منك يا صاحبي ومن أدبك القديم ! » قلت : « ماذا يا آنسة ؟ » قالت : « هذا (نهاية الأرب) بين يدي منذ أيام ثلاثة ، أحاول أن أجد فيه شيئاً يفيد تلميذاتي فأترجمه لهن في كتاب المطالعة الذي أشتغل بتأليفه فما وجدت . . . ! »

وكان هذا أول عهد صاحبتي بالأدب القديم ، وقد لجأت إليه أول ما تلجأ ، لتجد بغيتها تحت عينيها ؛ فلما استيأست ونال منها الجهد ، رمت الكتاب وهي تسب الأدب القديم ، وتعيب الأدب القديم !

وإنما يتأتى الفوز بمثل ذلك لمن أدمن الاطلاع والنظر ، وداوم البحث والاستقراء ، فيقرأ أولاً ليدرس ويلذ نفسه ، حتى إذا بلغ من ذلك ما بلغ ، جاءته الثمرة من حيث لا يطلبها ، ووجد الفائدة تحت عينيه تدل على موضعها . وهؤلاء الباحثون

جميعا لم يؤدوا إلينا نتائج ما بحثوا مستوفاةً ناضجة لأنهم أرادوا أن يبلغوا هذه النتائج أول ما قرءوا ؛ إنما كانت القراءة أولا ؛ ثم شعاع الفكرة ، ثم عناصر البحث ، ثم هذه الثمرات التى نقرؤها فنعجب بها فنثنى على ما جاهدوا وظفروا ؛ ولو أنهم أرادوا موضوع البحث قبل أن يقرأوا ، لكان غاية جهدهم أن يخترعوا عناوين البحوث . . . !

وهنا أديب آخر يظفر بالشهرة والجاه عند دعاة الجديد ، ويحسبونه واحداً منهم ، لأنه يكتب بأسلوبهم وعلى طريقتهم ؛ لقيته مرة فحدّثته وحدّثنى ، فقال لى : « دعهم يقولون عنى ، وينسبون إلىّ وينتسبون ؛ ولكنى لا أكذبك ، فكم تمنّيت أن يكون حظّى من الأدب القديم أكثر مما عندى ، وسأبلغ ذلك ، وسيعلم أصدقائى يومئذ أننى لم أكن فى المجددين لأنى أنكر القديم ، بل لأن زادى وثروتى من اللغة لم يكن يبلغ بى أن أكون مع غير الذين يسمونهم مجددين . . . ! »

أفينكر إخوانُنا فى اللغة أن هذه النهضة التى ينتسبون إليها لم تكن من صنعهم ؟ وإنما هيّأ أسبابَها وأذكاها تلك الكتب القديمة التى يسبّونها اليوم حين نهض لنشرها أدباؤنا منذ قرن فدرسوها مخطوطات باليةً مركومة ، وخلّفوها لنا مطبوعةً مصحّحة مجلوّة؟

ولكل عمل أداته ووسيلته ، وإنما الوسيلة لدراسة هذه اللغة هى النشاط الدائب فى التحصيل ، والجهد المتصل فى الاستقراء ، والمحاولة المستمرة للكشف والبحث والاطلاع . ولهذه اللغة أصول لابد من الاحاطة بها قبل الشروع ، وعندها طرف الخيط ، فمن شاء فليبلغ إلى الغاية . . .

* * *

أما بعد فهذه كتب أربعة ، لم أكن بحاجة فى تقديمها إلى كل ما أسلفت ، ولكنها جميعاً من الأدب القديم ؛ وللأدب القديم ملمس خشن ، أفيدرى اللامسون ما وراءه . . . ؟

١ — اعجام الأعلام :

أكثر ما يعانى المطالع فى الكتب القديمة ، هذه الأعلام الكثيرة فى كل سطر وفى كل عبارة مما يقرأ ؛ على أن أشق ما يعانيه فى هذه الأعلام ، هو ضبطها والتمييز بينها ؛ وحسبك أن تعلم أن أكثر هذه الأعلام ليس مما يسمى به فى هذا الزمان ، فلا سبيل إلى تصحيح نطقه إلا بالسماع والرواية ، ولا سبيل إلى الترجمة لمسمّاه — إنساناً كان أو بلداً — إلا بالبحث الطويل والجهد المضنى ، على أن ذلك لا يتأتى لكل طالب ؛ فأنت لا تجد كتابا فى العربية يُستغنى به عن سواه فى هذا الباب

والأستاذ محمود مصطفى أستاذ الأدب العربى بكلية اللغة العربية الأزهرية ، رجل دءوب كثير البحث ، طويل الأناة ؛ وهو قد لقى فى شتى مطالعاته ضروبا من العناء فى ضبط الأعلام والتعرف الى أصحابها ؛ فاجتمع له بسبيل ذلك فيما اجتمع من ثمرات المطالعة طائفةٌ كبيرة من أعلام الأناسىّ والبلاد مضبوطة مترجمة لا تجتمع لذلك حين ينشدها إلا بجهاد سنوات وسنوات ؛ فرأى أن يقدّم هذه الثمرة الجليلة إلى أدباء عصره ، ليخفف عنهم بعض ما لقى ، على أنه لم يثقل عليهم بما لا حاجة بهم إليه . فاكتفى من عمله بضبط الأعلام وتصحيحها ، ثم إيجاز ترجمتها بما يقتصر على ما يفيد ، بعيدا من الاختصار المخلّ والتطويل الممل ؛ وقد أعانته على إخراج كتابه « جماعة دار العلوم » بإقرار لجنتها العلمية ؛ ومن غير جماعة دار العلوم تعرف قيمة هذا العمل الجليل ؟ على أن ذلك وإن يكن من واجبها ، لا يمنعنا أن نذكر عملها شاكرين ، فقلّ فى هذا الزمان من يذكر واجبه بمقدار ما يفكر فى وسائل الفرار منه !

وأكثر الكتاب فى ضبط أعلام الأناسىّ ، وأقله لأعلام البلاد . ولو أننى حاولت الانصاف لما وسعنى إلا أن أعترف بأن هذه الصفحات الاثنتين والأربعين ، تغنى عن مكتبة حافلة بكتب التراجم ومعاجم الأعلام

ولكن اعجابى بالكتاب وثنائى عليه لا يمنعانى أن آخذ على مؤلفه العالم أنه أهمل الاشارة الى المراجع التى منها استمدّ ؛ وأحسبه كان يجمعه لنفسه فلا يهتمّ بحفظ المصادر ، فلما اجتمع له هذا القدر الكبير أخرجه كتاباً . أفيدفع عنه النقد هذا الاعتذار .... ؟ ؟

وفى الكتاب أشياء كانت تقتضى جهداً أوسع ، وعناية أدق ، فالتعريف بالأماكن قليل مخل ، وأرى المؤلف فى هذا الباب لم يُفد إلا ضبط أعلام المواضع ، أما تحديدها وتبيين أماكنها فما بلغ منه الى كثير . وتراه فى أكثر من موضع من الكتاب ،

قد أوجز الحديث وأحال الى موضع آخر ، فاذا انتقلنا الى ذلك الموضع لم نجد شيئاً مما أحال اليه ، أو نجد شيئاً ولكنه لا يغنى كل الغناء ؛ فمن ذلك فى ص ٧٦ « . . . . بسطام ، وهى بلدة مشهورة من أعمال قومس » ، فاذا بحثت عن (قومس) هذه فى أعلام البلاد وجدت (القوامس) كثيرة ، فلا تعرف الى أيها تنتسب (بسطام) . وفى ص ٩٤ : « كان منزل رهط (جبل) فى وادى القرى (انظره) . . . » وتنظر فى أعلام البلاد ، فلا تجد ذكراً لوادى القرى . ومثل ذلك فى ص ١٢٨ ترجمة السُّهْرَوَرْدِىّ » ونسبته الى سهرورد ، وهى بلدة (انظرها) » ولكن أين ؟ وغير ذلك كثير

على أن الكتاب مع ذلك لا يستغنى عنه متأدب ، وإن فيه لغناء عن كتب ومكتبة ، وأ كثر مصادره مما لا تتناوله الأيدى ، وهو مجهود مشكور ، جدير بالثناء والاعجاب

٢ — الفروق اللغوية

أبو هلال العسكرى إمام من أئمة اللغة فى القرن الرابع الهجرى ، تحتفظ له المكتبة العربية بآثار خالدة ؛ أكثرها معروف متداول ، وهو الى أنه شاعر وأديب ، عالم فحل ، واسع المعرفة ، صنّف فى أكثر من فن من فنون العربية ، وهذا كتابه « الفروق اللغوية » يبحث فى الفرق بين الألفاظ التى تؤدى معانى متقاربة ، والتى يسميها علماء اللغة مترادفات ، وهو فى هذا الكتاب يقرر مذهباً فى اللغة : « أن كل اسمين يجريان على معنى من المعانى وعين من الأعيان فى لغة واحدة ، فان كل واحد منهما يقتضى خلاف ما يقتضيه الآخر ، وإلا لكان الثانى فضلا لا يحتاج اليه ... لأن فى ذلك تكثيرا للغة بما لافائدة فيه ... إلا أن يجىء ذلك فى لغتين ، فأما فى لغة واحدة فمحال أن يختلف اللفظان والمعنى واحد كما ظن كثير من النحويين واللغويين .... »

فهو يرى كل لفظين مما نسميه مترادفاً ، يختلفان فى المعنى ، أو فى الصفة ، أو فى الاستعمال . أو الاشتقاق . . . وتراه على هذا المذهب يسير فى كتابه ، يبين الفرق بين اللفظ ومرادفه ، فى أبواب مقسمة على معانى الكلمات ، تريك دقة أبى هلال ، وسعة علمه ، وصدق نظره فى فقه اللغة العربية ، والكتاب كله أمثلة على ما ذكرت

ولو أن كاتباً من أبلغ أدباء هذا الزمان ، عرض كلامه على كتاب « الفروق اللغوية » ، لبانت له قيمة ما يكتب بإزاء ما يجب أن يكتب ، ولعرف مقداره بين كتّاب العربية حين يعرف أين عربيته من العربية الصحيحة . وهذا وحده الدليل كلُّ الدليل على جدوى هذا الكتاب فى كل زمان ، لا سيا هذا الزمان !

٣ — معجم الشعراء : ٤ و ٤ — المؤتلف والمختلف

يعترض القارىء فى أثناء مطالعاته فى الأدب القديم ، أسماء شتى لشعراء من مختلف العصور ، فتختلف عليه ، وتتشعب فكره ، وتتشابه فى مسمعه ، وربما أكثر ما يشترك شاعران أو أكثر فى اسم واحد ، فتتداخل الصور وتزدحم عليه ، فما يتأتى له أن يحكم حكمه فى موضوعه ، أو يتضح له منهاج بحثه ، الى أن يعرف ترجمة كل شاعر من هؤلاء ، معرفة تحدد فى الذهن صورته وتكشف عن ابهامه ، وسبيل هذه المعرفة لا تكون إلا بمثل هذين الكتابين

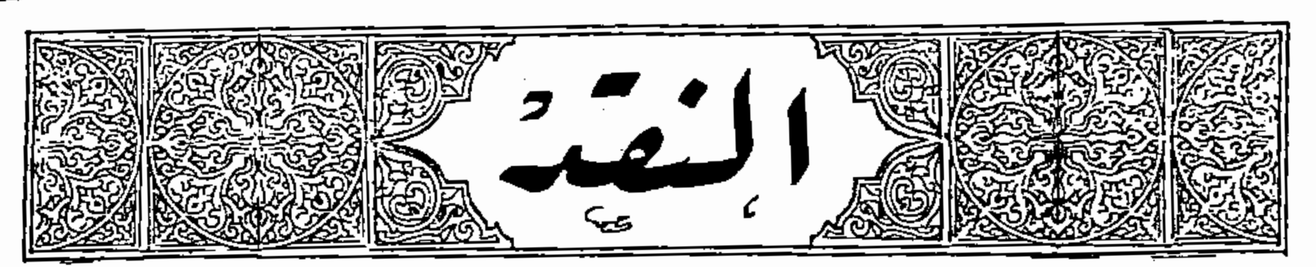
والمرزبانى والآمدى علمان من أعلام القرن الرابع الهجرى ، لهما فى الأدب العربى فكر وفنٌ وبيان

والكاتبان على ما اختلفا فى الغرض يلتقيان فى الموضوع ، فأولهما يترجم لشعرائه ترجمة تعرّف بهم فى ايجاز مفيد مع استشهاد رائق ، على أن الذى بين يدينا من كتابه هو جزء منه أحسبه يبلغ ثلثيه

وأما الآمدىّ فيترجم للشعراء المشتبهة أسماؤهم وحسب ، ترجمةً تزيل الشبهة وتكشف اللبس ، ويجمع هذا الكتاب مع الجزء الموجود من معجم الشعراء ــ أكثر من ألفى شاعر ، بأسمائهم ، وكُناهم ، وألقابهم ، وأنسابهم ، وبعض شعرهم . وقد أحسن ناشرهما احساناً كبيراً بضم بعضهما الى بعض فى مجلد واحد ، ليكون النفع بهما أتم والغاية أوفى

ولا شك أن مكتبة « القدسىّ » بنشرها هذين الكتابين ، وكتاب « الفروق اللغوية » قد بذلت جهداً ، ويسرت نفعاً ، وعممت فائدة ، وهذا باب فى خدمة العربية يُذكر فيه العاملون !!

(شبرا) محمد سعيد العريان



٣ – تاريخ الاسلام السياسى

تأليف الدكتور حسن ابراهيم حسن

مصادر الكتاب

لأستاذ كبير

ألمت فى كلمتى السابقتين بما تأخذه النظرة المجلى من الأغلاط التاريخية والجغرافية الواقعة فى كتاب « تاريخ الاسلام السياسى » وهى لعمرى أغلاط يذهب بعضها بمحاسن أى كتاب ترد فيه فكيف بها كلها : وأريد فى هذه الكلمة أن أعرض فى شىء من النقد لمصادر هذا الكتاب ، وأن آتى بعد ذلك على بعض عيوب لحظتها على طريقة المؤلف فى أخذه عن المصادر المذكورة ، وكم كنت أود ، علم الله ، أن تكون كلمة اليوم كلمة ثناء أكيله للمؤلف جزافاً لعلى أمحو ما عساه أن يكون قد علق بنفسه من جراء المقالين السابقين ، ولكن شاء سوء حظى عنده أن يجىء الأمر على غير ما أريد

***

كل من يطلع على « تاريخ الاسلام السياسى » تبهره من غير شك كثرة المصادر التى تدل على أن المؤلف رجع اليها فى وضع كتابه ، فما من صفحة من صفحاته ، ولا فقرة من فقره إلا وهى تحتوى على أقل تقدير إحالة واحدة للقارئ على مرجع من مراجع التاريخ الاسلامى القديمة والحديثة . ثم إن المؤلف لا يكتفى بذكر مراجعه منثورة مفرقة على الفصول والصفحات والفقر والأسطر ، بل هو يوردها فى آخر كتابه مجموعة منسوقة فى بضع صفحات تروع النظر والفؤاد جميعاً

وإيراد المراجع العلميــة على هذا النحو واجب محتوم فى البحوث العلمية الدقيقة التى يراد فيها الإدلاء بنظرية علمية جديدة أو بسط وجهة نظر مستطرفة . أما فى الكتب العامة التى يقصد أن تكون فى متناول الطلاب المثقفين فقد جرى العرف بأن يقتصر من ذكر المراجع فى صلب الفصول على الضرورى ، ثم يذيل كل فصل بذكر المراجع التى استعان المؤلف بها فى كتابة الفصل تبرئة لذمتــــه وتوسعة على الطالب والقارىء الراغب فى سعة الاطلاع وكثرة التحصيل . ومما يبعث على سلوك هــذه الطريقة أن الأصل فى الكتب المؤلفة للطلاب وراغبى الثقافة ، أن يكون واضعوها من أعلام العلماء وجهابذة الأساتذة ، ممن لهم فى العلم قدم راسخة ومكانة عالية تحمل قراءهم على تصديقهم فيما يقررون وما اليه يذهبون

ومع أن كتاب « تاريخ الاسلام السياسى » من الصنف الثانى فقد آثر المؤلف ركوب الطريقة التى تتبع فى الصنف الأول ، فحمل متن كتابه من الشروح والحواشى حملا ثقيلا ، وكلف نفسه شططا وقراءه مشقة وعنتا . ولم كل هذا ؟ لا لشىء سوى ابتغاء السمعة عند الناس وأن يلقى فى روع القارىء أنه فى التاريخ واسع الاطلاع ، طويل الباع ، قد وعى ما كتبه الأوائل والأواخر

على أن نظرة ناقدة الى المراجع المذكورة كفيلة بأن تثبت أن كثرتها الى حد بعيد صورية لا حقيقية ، فان حرص المؤلف على التكثر والتزيد قد حمله فى كثير من الأحيان على أن يدلل على ما لا يحتاج الى دليل ، وأن يعدد المراجع ولو كانت فى مرد أمرها ترجع الى مصدر واحد . فمن من تلاميذ المدارس لا يعرف نص الخطبة التى افتتح بها أول الخلفاء الراشدين عهده ؟ إنها أشهر من أن تجهل . ومع ذلك فالمؤلف الكريم يحيل قارئه عند إيراده نص هذه الخطبة على أربعة كتب قديمة متضمنة لها ذاكرا اسم الكتاب واسم المؤلف ورقم الجزء والصفحة والطبعة ومكان الطبع ! كذلك الحديث الذى يزعم رواة العرب أنه جرى بين أبى سفيان وبين هرقل قيصر الروم فى الشام . وهو حديث يحمل فى ثناياه أدلة ضعفه وانتحاله ، وهو على فرض صحته ليس بذى خطر ، ولا يقدم فى فهم سيرة الرسول ولا يؤخر . ومع ذلك ، فالمؤلف يورده بنصه على طول ذلك النص ثم يحيل القارىء على الكتب القديمة التى ذكرته ، وقد ذكر منها

خمسة أكثرها شروح مختلفة على متن البخاري . لو أن المؤلف قصد الى مناقشة هذه النصوص ومقارنة رواياتها المختلفة بعضها ببعض ، وبيان ما تتفق فيه وما تختلف من حيث اللفظ والمعنى ، ثم الوصول بعد ذلك الى حكم يكون لها أو عليها ، لكان للمشقة التي عنى نفسه وقارئه بها ما يجيزها ويسوغها . أما وهو لم يقصد الى شيء من ذلك فقد انتفت المزية وبقيت المشقة

* * *

ثم إن هذه الكثرة صورية من وجه آخر أكثر خطرا وأضر بقيمة الكتاب العلمية وبقدرة مؤلفه على نقد مراجعه وتقويمها ذلك بأن المؤلف كثيرا ما يأخذ عن كتب أثبت البحث العلمي الدقيق أنها لا يصح الاعتماد عليها بحال في معرض التدليل العلمي الصحيح . فهو يعتقد أن الكتاب القصصي المسمى « فتوح الشام » للواقدي حقا ، ثم يذهب يستعين به في الفصل الذي عقده لفتح العرب الشام ، وينقل عنه صفحات برمتها ، ثم لا يكتفي بذلك بل ينبري لمناقشته ومجادلته . فليأذن لنا الدكتور أن نقول له إن هذا الكتاب ليس للواقدي ، بل ليس من آثار عصر الواقدي ، وإنما هو كتاب كتب بعد زمن الواقدي بمئات السنين : كتب على أغلب الظن إبان الحروب الصليبية لبث الحمية الدينية في نفوس الجمهور وترغيبه في مجاهدة الصليبيين بتذكيره بفعال آبائه في الشام . ونفس عبارة الكتاب من النوع القصصي الحماسي . جاء في دائرة المعارف الاسلامية في ترجمة الواقدي ما يأتي :

Les Futuh al sham et al Irak, ne sont pas conservées; les livres qui circulent sous ce nom proviennent d'une époque postérieure et sont faussement attribués à Wakidi » وترجمتها « إن كتابي فتوح الشام والعراق قد فقدا . أما الكتابان المتداولان بهذا الاسم فيرجعان الى عصر متأخر ، وهما مضافان إلى الواقدي خطأ . »

كذلك يعتمد المؤلف في عدة مواضع من كتابه على كتاب آخر زائف هو كتاب « الامامة والسياسة » المنسوب الى ابن قتيبة وكل شيء في هذا الكتاب يدل على أنه ليس لابن قتيبة . وإنما هو في غالب الظن لكاتب أندلسي أراد تسلية الخاصة باسم الحياة السياسية الاسلامية فوضع هذا الكتاب الذي يعتبر من الناحية الأدبية قطعة فنية ، وإن كان من الناحية التاريخية لا يعول عليه على الاطلاق . وفي ذلك يقول المستشرق الانجليزي مرجوليوث في كتابه « مؤرخو العرب » في ص ١٢٥

« Its falsification or ignorance of history is so glaring that it cannot be ibn Qutaibah's work » وترجمته « أن ما في هذا

الكتاب من تكذيب للتاريخ أو جهل به ، لفاضح بحيث لا يمكن أن يكون من تصنيف ابن قتيبة . »

ثم إن المؤلف كثيراً ما يستمد ويقتبس من كتب منها ما قد أصبح قديماً قاصراً من حيث المستوى العلمي ، ومنها ما هو ثانوي الأهمية ، ومنها الضعيف ، ومنها ما قصد بكتابته الى التثقيف العام . من هذه : « تاريخ العرب » لسديو ، و « موجز تاريخ العرب » لسيد أمير علي ، و « الحضارة العربية » لجوستاف لوبون » ، و « أتباع محمد » لواشنجتن أرفنج

إن هذه الكتب وكثيراً غيرها قد وضعها في أغلب الأحوال هواة قصدوا بها ناحية الثقافة العامة والتصوير المجمل ، فكثرة الاستدلال بها في مقام البحث الجدي ترخص لا مسوغ له

***

هذا عن مبلغ نقد المؤلف لبعض أمهات مصادره . أما مذهبه في الانتفاع بهذه المصادر إجمالا فلنا عليه بعض الاستدراك . فهو مفرط في الأخذ عنها والاقتباس منها ، بحيث أنك في كثير من فصول الكتاب تبحث عن شخصية المؤلف فلا تجدها أو تجدها ضئيلة ضعيفة ، خذ لذلك مثلا الباب الأخير من أبواب الكتاب الخاص بالحضارة الاسلامية في عصر الخلفاء الراشدين والأمويين ، وهو باب كان يمكن المؤلف أن يجول فيه ويصول ، ومع ذلك فهو لا يخرج عن كونه مجرد تلخيص لكتاب « الخلافة » لارنولد ، وكتب الحضارة الاسلامية والأدب العربي لفون كريمر والسيد أمير علي ونيكلسن . أن الأمر هنا أمر تكرار لا ابتكار

وقد يخطّئ المؤلف بعض من يأخذ عنهم تخطئة لا حق له فيها . من ذلك أنه عند كلامه على الخوارج استشهد بقول صاحب كتاب « الفخري » : « وصدرت منهم أمور متناقضة تدل على أنهم يخبطون خبط عشواء ، منها أن رطبة سقطت من نخلة فتناولها رجل ووضعها في فيه ، فقالوا له أكلتها غصبا وأخذتها بلا ثمن ، فألقاها ، ومنها أن خنزيراً لبعض أهل القرى مر بهم فضربه أحدهم بسيفه فعقره فقالوا هذا فساد في الأرض ، فمضى الرجل الى صاحب الخنزير وأرضاه ، ومنها أنهم كانوا يقتلون النفس التي حرمت إلاّ بالحق ، قتلوا عبد الله بن خباب ، وكان خباب من كبار الصحابة ، وقتلوا عدة نساء وسبوا ، وفعلوا أفاعيل من هذا القبيل » هذه العبارة التي يصح أن تعتبر مثلاً للتناقض يعلق عليها المؤلف بقوله : « نرى أن هذا ليس من التناقض في شيء ، وإنما هو أقرب إلى أن يكون غلوا في تطبيق مذهبهم » ! !

ومن ذلك نقده الهادم لحاجي خليفة ، لا لشيء سوى أنه أورد خبراً لم يرضه المؤلف فيقول : « ومثل هذا المؤرخ لا يؤخذ بكلامه ولا يعول عليه في المسائل التاريخية الهامة لأنه كان متأخراً في الزمن فقد توفي سنة ١٠٦٧ هـ » وهو تعسف في الحكم من غير نزاع ، ومن هذا القبيل أيضاً تصديه لمرجوليوث في أمر الرجلين اللذين تزعم الرواية العربية أن كسرى أمر عامله على اليمن أن ينفذهما إلى الرسول ليأتياه به ، فلما قدم الرجلان على الرسول أخبرهما النبي بأن كسرى قتل وأن ابنه هو الذي قتله . فمرجوليوث يأخذ من هذه الرواية أن النبي كان له من يأتيه بالأخبار . أما المؤلف فبدلاً من أن ينقد الرواية العربية ، ليرى هل من المعقول أن ينفذ كسرى من طريق عامله على اليمن رجلين اثنين إلى سيد الحجاز ليأتياه به ، فانه يأخذ في الرد على مرجليوث لأنه لم ينظر الى المسألة نظر المسلم المؤمن بنبوة محمد (صلعم) ، ولو أنه عمد إلى نقد الرواية أو تأولها على أقل تقدير لانهارت دعوى مرجوليوث من تلقاء نفسها

والمؤلف يسهو أحياناً فيذكر أنه أخذ من مصدر بعينه أخذاً مباشراً ، في حين أنه يكون قد أخذ عنه بالواسطة ، فهو يحيل القارىء في ص ٨٠ وغيرها على ما يسميه هو المجلد الثاني من كتاب « بقية الوثنية العربية » Reste Arabischen Heidentums للمستشرق الألماني فلها وزن . والواقع أن الكتاب المذكور يقع في مجلد واحد فقط ، ولكنه طبع مرتين ، فلو أنه رجع اليه حقاً لما وقع في هذا الخلط القبيح

وعلى كثرة من يستشهد المؤلف بهم في كتابه وذكره أسماءهم مباهياً بتلمذته لبعض المستشرقين منهم ، كأرنولد ونيكلسون ، نراه ينسى أن يذكر أن الفصل الذي عقده لمكتبة الاسكندرية كله ملخص من كلام دكتور بطلر في كتاب « فتح العرب لمصر » والغريب أنه يحيل في ختام هذا الفصل على كتابه هو « عمرو بن العاص »

وبهذه المناسبة نقول أن المؤلف غمط حق مؤرخ جليل وعالم كبير طالما جلس المؤلف منه مجلس التلميذ من الأستاذ ، ذلك هو المرحوم الشيخ محمد الخضري بك الذي طوى الموت ما بينه وبين هذه الدنيا بما فيها من غدر ومحال ، وباطل وغرور . لقد انتفع المؤلف بعلم هذا الشيخ حياً وميتاً كما يدل كلامه على شرعية القتال ، ثم هو يبخل بأن يذكر اسمه ضمن من أخذ عنهم . فيا ليت شعري إذا كنا لا نظفر بالوفاء عند تلاميذنا ، فعند من سواهم يكون الظفر بالوفاء ؟ ؟

(يتبع) مؤرخ